جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مَتاعُ الحياةِ الدُّنْيا الوارد في سورة آل عمران
دراسة لغوية

إعداد

فاطمة عيد عبد الفتاح حسن السيد
قسم اللغويات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة
جامعة الأزهر، مصر

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

" متاع الحياة الدنيا" الوارد في سورة آل عمران(دراسة لغوية)

فاطمة عيد عبد الفتاح حسن السيد

قسم اللغويات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Fatima.57@Azhar.edu.eg

الملخص:

تأتي أهمية البحث في كونه تناول جميع مصادر الزينة في الحياة التي ذكرت في الآية الكريمة وترتيبها الأربع عشرة في سورة آل عمران، وهذه الآية الكريمة احتوت على ذكر جميع ما يمثل متاعًا في الحياة الدنيا وهي: (النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث) بدراسة لغوية أظهرت المعنى؛ وأظهرت كذلك الجانب النحوي، والجانب الصرفي في الآية الكريمة، وكان سبب اختياري لهذا الموضوع ما شهدته من تعلق الانسان بكل متع الحياة ورغبته في بقائها والاستزادة منها، والتي قد تتأثر بما يمر به الانسان من أحداث؛ ومنها جائحة كورونا؛ فقد ظهر من خلال التأمل في جائحة كورونا وما خلفته من تدهور اقتصادي وصحي لدى الانسان؛ البحث عن مصادر زينة الحياة وأمتعتها، فإذا بالآية الكريمة موضع الدراسة قد اشتملت على كل متع الحياة التي تمثل زينة وشهوة محبوبة للإنسان، ومن ثَم عزمت على تناولها بالدراسة، واتبعت المنهج الوصفي التحليلي في تناول البحث؛ معتمدة على جميع فنون العلوم المتصلة بالقرآن الكريم واللغة العربية، عشت من خلالها في رحاب ما أدلوه العلماء وأتوا به من تفسير ومعاني وإعراب وتصريف، وقمت بتخريج القراءات من مظانها، وكذلك الحديث والأشعار، وتناولت الآية الكريمة ومفرداتها بالتفصيل والدراسة والتوجيه من حيث ذكر معاني المفردات، فالتوجيه النحوي والصرفي؛ حتى خرج البحث في صورته النهائية، وقد ظهر من خلال الدراسة: أن حب الشهوات والمتمثل في المصادر المذكورة طبع فطري في

الإنسان، وكون النساء والبنين أُفْرِدا بذكرهما من باب التغليب، أن (الواو) في الآية الكريمة تفيد الجمع والتشريك، وتجلت مزية التسلسل في ذِكر الأهم فالمهم مكانة عند الانسان.

الكلمات المفتاحية: متاع، النساء، البنين، القناطير، الخيل، الذهب، الأنعام، الحرث.

(worldly life goods) contained in Surat Al-Imran - a linguistic study)

Fatima Eid Abd El , Fattah Hassan Al , Sayed
Department of Linguistics, Arabic Language Program, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Cairo Girls, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Fatima.57@Azhar.edu.eg

Abstract:

The importance of the research comes from the fact that it dealt with all the sources of adornment in life that were mentioned in the noble verse and their fourteen arrangement in Surah Al Imran. This noble verse contained a mention of all that represents enjoyment in the life of this world, which are: (women, children, and arched centaurs of gold and silver, And the marked horses, and the cattle, and the tillage) with a linguistic study that revealed the meaning. I also showed the grammatical aspect and the morphological aspect of the noble verse, and the reason for choosing this topic was what I witnessed of man's attachment to all the pleasures of life and his desire to preserve and increase them, which may be affected by the events that man goes through. Including the Corona pandemic; It emerged through contemplation of the Corona pandemic and the economic and health deterioration it caused in people; Searching for the sources of life's adornments and pleasures. The noble verse under study included all the pleasures of life that represent an adornment and a beloved desire for man. Therefore, I decided to study them and followed the descriptive and analytical approach in approaching the research. Relying on all the arts of science related to the Holy Qur'an and the Arabic language, through it I lived within the scope of what scholars have provided and

brought in terms of interpretation, meanings, parsing, and conjugation. I extracted the readings from their meanings, as well as hadiths and poetry, and dealt with the Noble Verse and its vocabulary in detail, study, and guidance in terms of mentioning the meanings of the vocabulary. Grammatical and morphological guidance; Until the research came out in its final form, and it became clear through the study: that the love of desires, which is represented in the aforementioned sources, is an innate nature in man, and the fact that women and boys were mentioned alone is a matter of dominance, that the (waw) in the noble verse indicates plural and polytheism, and the advantage of sequence became clear in mentioning Most importantly, what is important is a person's status.

Keywords: Baggage, Women, Boys, Centaurs, Horses, Gold, Livestock, Cattle.

المقدمة

الحمد لله خلق السماوات، والأرض، والإنسان في أحسن تقويم، وجعل الظلمات والنور؛ هداية لأولي الأبصار. والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين نبينا محمد ذي الخلق العظيم.

وبعد؛

فهذه دراسة تناولت متع الحياة الدنيا وزينتها، كما جاءت في سورة آل عمران دراسة لغوية؛ وقد سميتها بـ(متاع الحياة الدنيا) الوارد في سورة آل عمران- دراسة لغوية)؛ على سبيل الإحاطة والشمول لكل ما ذكر في الآية الكريمة؛ أخذًا من قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[1]؛ حيث أشار الله -جلَّ جلاله- به إلى جميع ما سبقه من مصادر الزينة الوارد في الآية الكريمة موضع الدراسة.

ونبعت أهمية البحث من كونه تناول جميع مصادر الزينة في الحياة الدنيا التي يسعى إليها الانسان جاهدًا في تحصيلها بحب ورغبة دراسة لغوية، تناولت: المعنى، والإعراب، والتصريف.

وكان سبب اختياري لهذا الموضوع ما شهدته من تعلق الانسان بكل متع الحياة، ورغبته في بقائها والاستزادة منها؛ نظرًا لما لها من إيجابيات تعينه على أداء رسالته. ومِن تأثر هذا المتاع بما يمر به الانسان من أحداث، ومنها جائحة كورونا، وما خلفته من تدهور اقتصادي وصحي لدى الانسان. وكذلك الحروب التي إنْ وقعت في مكان أفقدته هذه المتع، وجعلته قفرًا؛ ومن ثَمَّ نبعت فكرة البحث عن مصادر زينة الحياة وأمتعتها. فإذا بالآية الكريمة موضع الدراسة قد

(١) سورة آل عمران من الآية: ١٤.

اشتملت على كل متع الحياة التي تمثل زينة وشهوة محبوبة للإنسان؛ فعزمت على تناولها بالدراسة.

واتبعت المنهج الوصفي التحليلي في تناول البحث؛ معتمدة على جميع فنون العلوم المتصلة بالقرآن الكريم، واللغة العربية، عشت من خلالها في رحاب ما ذكره العلماء من تفسير، ومعانٍ، وإعراب، وتصريف.

وأما الحديث عن الدراسات السابقة، فلم أقف على دراسة تناولت موضوع البحث بالدراسة خاصة. وإنما قد ذُكرت الآية الكريمة في ثنايا مؤلفاتٍ تناولت القرآن الكريم عمومًا من كتب التفسير، وعلوم القرآن، والتي رجعت إلى بعضها للاستعانة بها، كمصادر ذكرتها في ثبت المصادر والمراجع.

واتبعت في دراستي المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث تناولت الآية الكريمة ومفرداتها بالتفصيل والدراسة والتوجيه من حيث ذكر معاني المفردات، والتوجيه النحوي. وقمت بتوثيق القراءات من مظانها، وكذلك تخريج الحديث والأشعار؛ حتى خرج البحث في صورته النهائية التي تمثلت في خطته مكونة من تمهيد، ومبحثين على النحو التالي:

أولًا– التمهيد: تضمن تحليلًا لمكونات الآية الكرية، والمعنى اللغوي لكلمة (الزينة). ثم أقسام الزينة.

ثانيًا– المبحث الأول: (مصادر الزينة) احتوى على عدة مطالب:

المطلب الأول: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾. وتضمن النقاط التالية:

*– توثيق القراءة.

*– توجيه القراءة المتواترة، وتوجيه القراءة الشاذة.

*– فاعل التزيين.

*– تعقيب الباحثة.

*– إعراب (حب الشهوات).

*- معنى (الناس)، و(الشهوات).

* -(حب الشهوات) في التصريف.

*- معنى (اللام) في (للناس).

المطلب الثاني: (من النساء والبنين)

*- معنى النساء والبنين.

*- (النساء) في التصريف.

*_ (البنين) في التصريف.

*- إعراب (من النساء والبنين).

*- مناقشة ترتيب مصادر الزينة.

المطلب الثالث-(والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة)، وتضمن:

*- معنى (القناطير المقنطرة)، وعلاقة القنطار بالغنى.

*- (القناطير المقنطرة) في التصريف.

*- معنى (الذهب والفضة).

*- إعراب (من الذهب والفضة).

*- (الذهب والفضة) في التصريف.

*- معنى (مِن).

*- معنى (الخيل المُسَوَّمَة).

*- (الخيل المسومة) في التصريف.

*- معنى (الأنعام).

*- (الأنعام) في التصريف.

*- معنى (الحرث).

*- (الحرث) في التصريف.

*- إعـراب قولـه تعـالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾.

*-- معنى الواو.

ثالثًا- المبحث الثاني: قوله الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾، **واحتوى على مطلبين:**

الأول- قوله جلّ وعلا: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾.

الثاني- قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾.

رابعًا- خاتمة البحث وفيها أهم نتائج الدراسة.

وأخيرًا- ثبت لأهم المصادر والمراجع.

والله أسأل الهداية والتوفيق والسداد

أولًا- التمهيد

أولًا- تحليل مكونات الآية الكريمة:

قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(١).

بالنظر في الآية الكريمة لوحظ:

أنها اشتملت على خمسة وعشرين ومائة حرف، جُمِعت في أربع وعشرين كلمة متضمنة بعض الضمائر المتصلة، بالإضافة إلى ثلاثة أنواع من أحرف المعاني كـ(اللام)، و(مِن) مكررة مرتين، و(واو) العطف مكررة ست مرات، كما أن (أل) قد تصدرت الأسماء الواردة في الآية وعددها أربع عشرة كلمة، وقد سبكت هذه الكلمات والحروف وركبت في ثلاث جمل:

الجملة الأولى- قوله الله عز وجلّ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ اشتملت على ست عشرة كلمة، ومن أحرف المعاني ثمانية، ولحقت (أل) باثنتي عشرة كلمة.

والجملة الثانية- قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، قد اشتملت على أربع كلمات، ولحقت (أل) بكلمتي(الحياة الدنيا).

والجملة الأخيرة- قوله عز وعلا: ﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾، قد اشتملت على أربع كلمات، وعلى حرف (الواو)، وقد لحقت (أل) بكلمة(المآب) وضمير بارز متصل بكلمة(عنده).

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٤.

ثانيًا– المعنى اللغوي لمادة(زين):

(زين) الزاي والياء والنون أصلٌ صحيح يدلُّ على حُسن الشيء وتحسينه. والزين نقيض الشين، يقال: زيَّنت الشيء تزيينًا، وأزْيَنتِ الأرضُ وازّيَّنتْ وازدانت إذا حَسَّنَها عُشْبُها[١]. فالزَّيْنُ: نقيضُ الشين، يقال: زانه الحُسْنُ يزينه زَيْنًا، وازدانَت الأرض بعُشْبِها، وازّيّنت وتزَّيَّنَت. والزّينة جامعٌ لكلِّ ما يتزيّن به[٢]، ويوم الزينة يوم العيد[٣].

والزينة اصطلاحًا: ما يزين الانسان، ولا يشينه في شيء من أحواله لا في الدنيا، ولا في الآخرة، فأما ما يزينه في حالة دون حالة فهو وجه من شين ولا يُعَد زينة[٤].

ثالثًا–أقسام الزينة:

للزينة أقسام؛ لأنها قد تكون نفسية مرتبطة بالمعنويات، كالعلم، والاعتقادات الحسنة. وقد تكون بدنية، كالقوة وطول القامة. وقد تكون خارجية، كالمال والجاه.

وكذلك قد تدرك الزينة بالحواس وخاصة البصر، وهذه يدركها العامة والخاصة، كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنيَا بِزِينَةٍ ٱلكَوَاكِبِ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾[٦]، أو قد تدرك بالعقل فتكون مقتصرة على ذوي

(١) ينظر: مقاييس اللغة مادة(زين).

(٢) ينظر: العين للخليل بن أحمد مادة(زين).

(٣) ينظر: مختار الصحاح مادة(زين).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن الكريم للأصفهاني ٢٨٨/١، وبصائر ذوي التمييز في كتاب الله العزيز ١٥٥/٣.

(٥) سورة الصافات الآية: ٦.

(٦) سورة الحجر من الآية: ١٦.

العقول[١]؛ قال الأصفهاني: "وقوله: ﴿ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾[٢]، وقوله: :﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾[٣]، ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾[٤]، فإشارة إلى الزينة التي تدرك بالبصر التي يعرفها الخاصة والعامة، وإلى الزينة المعقولة التي يختص بمعرفتها الخاصة، وذلك أحكامها وسيرها. وتزيين الله للأشياء قد يكون بإبداعها مزينة وإيجادها كذلك. وتزيين الناس للشيء بتزويقهم أو بقولهم، وهو أن يمدحوه ويذكروه بما يَرْفَع منه"[٥].

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى: أن كل ما على الأرض زينة لها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً ﴾[٦]. والزينة كل ما على وجه الأرض؛ فهو عموم لأنه دال على بارئه[٧]. فما عَلَى الأَرضِ يعنى ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا، وما يستحسن منها؛ ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٨]. وقال تعالى:﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٩] يجوز أن يريد به: ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله، ويمنّ علينا بذكره، كما منّ بالأشياء

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن الكريم للأصفهاني ٢٨٨/١، وبصائر ذوي التمييز في كتاب الله العزيز ١٥٥/٣.

(٢) سورة الملك من الآية: ٥.

(٣) سورة الصافات الآية: ٦.

(٤) سورة الحجر من الآية: ١٦.

(٥) المفردات في غريب القرآن الكريم للأصفهاني ٢٨٩/١.

(٦) سورة الكهف من الآية: ٧.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرطبي ٣٥٤/١٠.

(٨) سورة الكهف من الآية: ٧.

(٩) سورة النحل من الآية: ٨ .

المعلومة مع الدلالة على قدرته. ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به؛ ليزيدنا؛ دلالة على اقتداره بالإخبار بذلك، وإن طوى عنا علمه لحكمة[١].

وقد اشتملت الجملة الأولى من الآية الكريمة على مصادر زينة الحياة الدنيا، وتم تناولها بالدراسة التفصيلية بإظهار الجانب اللغوي ببيان الدلالة ومعنى كل كلمة، ثم بيان الجانب النحوي والصرفي، كما سيتضح من الدراسة.

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٣/٥٦٦.

ثانيًا- المبحث الأول: مصادر الزينة

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾

توثيق القراءة:

"﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾[1] بالنصب على تسمية الفاعل، وهكذا ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾[2]. حميد ومجاهد، وأبو حيوة، وابْن مِقْسَمٍ، وابن أبي عبلة، والحسن حيث وقع، وهو الاختيار بمعنى زين اللَّه، وهكذا ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾[3]. الباقون على ما لم يسم فاعله"[4].

توجيه القراءة المتواترة:

(زُيِّنَ للناس حُبُ الشهوات) (زُيّنَ) ماضي مبني للمفعول، و(للناس) جار ومجرور متعلق بالفعل (زُيّنَ)، و(حبُّ) مرفوع وعلامة رفعه الضمة نائب فاعل لـ(زُيِّنَ)[5]، و(حبّ) مصدر مضاف و(الشهوات) مضاف إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله إضافة لفظية. وإضافة المصدر إلى المفعول كثيرة؛ قال أبو حيان: "وأضاف المصدر إلى المفعول، وهو الكثير في القرآن"[6].

---

(١) سورة البقرة من الآية: ٢١٢.

(٢) سورة آل عمران من الآية: ١٤.

(٣) سورة فاطر من الآية: ٨.

(٤) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها لأبي القاسم الهذلي. ص٥٠٣.

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري١/ ٢٤٤، والدر المصون٣/٥٦.

(٦) البحر المحيط ٢/٤١٣.

توجيه القراءة الشاذة:

قراءة قوله تعالى: ﴿زَيَّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ بالبناء للفاعل قراءة غير متواترة، جاء فيها الفعل (زَيَّنَ) مبنيًا للمعلوم، وفاعله مقدر، و(حُبَّ الشهوات) مفعول به لـ(زَيَّنَ)، وعزا أبو القاسم هذه القراءة إلى حميد ومجاهد، وأبي حيوة، وابْن مِقْسَمٍ، وابن أبي عبلة، والحسن[١].

قال العكبري: "قوله: (زُيِّنَ للناس) يقرأ بفتح الزاي و(حب الشهوات) بالنصب، والفاعل هو الله، ويجوز أن يكون الشيطان، كما قال: (وزين لهم الشيطان أعمالهم)"[٢].

فاعل التزيين:

هل فاعل التزيين الله سبحانه وتعالى، أم أن الفاعل الشيطان، اختلفت فيه أقوال العلماء، ولم تتفق كلمة أحدهم على قول بعينه بل يذكر القول ثم يتبعه بالقول الآخر[٣].

القول الأول– أن الفاعل هو الله عز وجلَّ؛ ذكر الطبري أن الفاعل هو الله عز وجل؛ حيث قال:

"يعني تعالى ذكره: زُيِّن للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عدّ. وإنما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثرُوا الدنيا وحبَّ الرياسة فيها، على اتباع محمد –صلى الله عليه وسلم– بعد علمهم بصدقه"[٤]؛ مستشهدًا بما نقله عن الحسن: مَن زينها ما أشد أحدًا ذمًا لها من خالقها. وبما ورد عن عمر أنه

---

(١) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها لأبي القاسم الهذلي. ص٥٠٣.

(٢) إعراب القراءات الشواذ: ٣٠٦/١.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٢٨/٤.

(٤) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن٢٥٤/٥.

قال: (لما نزلت: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾، قلت: الآن يا رَبِّ حين زيَّنتها لنا)![1]؛ فنزلت: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[2].[3].

وقد رجح الزجاج القول بأن الفاعل هو الله؛ حيث عرض القولين ثم قال:" والقَوْلُ الأول أجودُ؛ لأن جَعْلَهَا زينةً محبوبة موجودٌ، واللَّه قد زهَّد فيها بأن أعلم وأرى زوالها"[4]. وقال النحاس:" قيل: لما كانت معجبة، كانت كأنها قد زينت، وقيل: زينها الشيطان"[5].

وقال الزمخشري: "(زُيّنَ لِلنَّاسِ) المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء، كقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ ﴾[6]، ويدل عليه قراءة مجاهد: (زَيَّنَ للناس)، على تسمية الفاعل"[7]،

---

(١) تخريج الأثر: بتتبع هذا الأثر: قد ورد في صحيح البخاري باب قول الرسول صلى الله عليه وسلم – (هَذَا الْمَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ). وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشهَوَاتِ مِن النساءِ والبنينَ والقناطِيرِ الْمُقنطَرَةِ مِن الذَّهَبِ والفضةِ والخيلِ المسوَّمةِ والأنعامِ والحَرْثِ ذلك مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا). قَالَ عُمَرُ اللَّهُمَّ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ إِلاَّ أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لنا، اللهمَّ إِنِّى أسألُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فى حَقِّهِ).

وورد أثر آخر عن عمر في مسند أبي شيبه، كتاب الزهد برقم (٣٥٧٢٤): حدثنا الحَسَنُ بنُ موسى، قَالَ: حدّثنَا شَيْبانُ، عن ليثٍ، عن مُجاهدٍ، قَالَ: آيةٌ أُنْزِلَتْ فِي هَذِهِ الأمة: (قل أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ) قال عُمَرُ: الآنَ يَا رَبُّ.

(٢) سورة آل عمران من الآية: ١٥.

(٣) ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن٥/٢٥٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٨٣.

(٥) معاني القرآن للنحاس ١/٣٦٦.

(٦) سورة الكهف من الآية: ٧.

(٧) الكشاف ١/٥٣٢، ٥٣٣.

وتابعه أبو حيان[١]، والسمين الحلبي في ذكر القولين بأن الفاعل هو الله –جل وعلا–، وبأن الفاعل هو الشيطان؛ إذ قال السمين: "والفاعلُ المحذوفُ هو اللهُ تعالى؛ لِمَا رَكَّب في طباع البشر من حُبِّ هذه الأشياء، وقيل: هو الشيطانُ"[٢].

القول الثاني– أن الفاعل هو الشيطان، وقد نُقِلَ عن الحسن[٣]. ذهب ابن ابن جني والعكبري وغيرهم إلى أن الفاعل هو الشيطان؛ حيث قال ابن جني: "ومن ذلك قراءة مجاهد: ﴿زَيَّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ بفتح (الزاي والياء) قال أبو الفتح: فاعل هذا الفعل إبليس؛ ودل عليه ما يتردد في القرآن من ذكره، فهذا نحو قول الله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾[٤]، وما جرى هذا المجرى"[٥]. وقال الزمخشري: "وعن الحسن: الشيطان. والله زينها لهم، لأنا لا نعلم أحدًا أذم لها من خالقها"[٦]. وكذلك ذكر العكبري: أنه يُقرأُ بالفتح ونصبِ حبُّ، تقديرُه: زَيَّنَ للناسِ الشيطانُ حملًا على ما جاء صريحًا في الآيةِ الأُخْرَى[٧].

القول الثالث– جواز عزو الفاعل إلى اسم الجلالة –جلا وعلا–، وإلى الشيطان على تفصيل في المعنى المراد؛ حيث فصَّلَ القول في فاعل التزيين حسب المعنى والغرض المراد؛ فالفاعل الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع، والنسبة إلى

(١) البحر المحيط ٤١٣/٢.
(٢) الدر المصون ٥٦/٣.
(٣) ينظر: تفسير الطبري٢٥٤/٥، والكشاف ٥٣٢/١، ٥٣٣، والبحر المحيط ٢/ ٤١٣.
(٤) سورة النساء من الآية: ١٢٠ .
(٥) المحتسب في وجوه القراءات ١٥٤/١.
(٦) الكشاف ٥٣٢/١، ٥٣٣.
(٧) ينظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري٢٤٤/١، والدر المصون٥٦/٣.

الشيطان بالوسوسة، وتحصيلها من غير وجهها[١]؛ قال القرطبي: "فتزْيِينُ اللَّهِ تعالى إنّما هو بالإيجادِ والتّهيئةِ لِلانْتِفاعِ وإنشاءِ الجِبِلّة على الميل إِلَى هَذِه الأَشْيَاء. وَتَزْيِين الشيطانِ إنّما هو بالوسوسة والخديعة وتَحْسِين أخْذِها مِنْ غيرِ وجوهِها"[٢].

وتبعه أبو حيان[٣]، والسمين الحلبي؛ حيث قال أبو حيان: "ويصح إسناد التزيين إلى الله تعالى بالإيجاد والتهيئة؛ للانتفاع. ونسبته إلى الشيطان بالوسوسة، وتحصيلها من غير وجهها. وأشارت الآية إلى توبيخ معاصري رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من اليهود وغيرهم المفتونين بالدنيا"[٤]. كذلك ذكر السمين الحلبي أن الفاعل في هذه القراءة: قد يكون الله سبحانه وتعالى، أو قد يكون الفاعل هو الشيطان؛ حيث قال: "وقرأ مجاهد: (زَيَّن) مبنيًا للفاعل، (حُبَّ) مفعول به نصًبا، والفاعلُ: إمَّا ضمير الله تعالى؛ لتقدُّم ذكرِه الشريف في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ﴾[٥]، وإمَّا ضميرُ الشيطان، أُضْمِرَ وإنْ لم يَجْرِ له ذِكْرٌ؛ لأنه أصلُ ذلك، فَذِكْرُ هذه الأشياءِ مؤذنٌ بِذِكْرِهِ"[٦].

وعلى كلا القولين يكون المعنى على كلا الوجهين ابتداء وعظ لجميع الناس على مر الزمان، وتحمل الآية في ضِمنِ ذلك معنى التوبيخ لمعاصري محمدٍ –صلى اللَّهُ عليه وسلم– مِن اليهودِ وغيرِهم[٧].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٤/٢٨، والبحر المحيط ٢/ ٤١٣.
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٤/٢٨.
(٣) البحر المحيط ٢/ ٤١٣.
(٤) البحر المحيط ٢/ ٤١٣.
(٥) سورة آل عمران من الآية:١٣.
(٦) ينظر الدر المصون٣/٥٦، ٥٧.
(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٤/٢٨.

تعقيب:

ترى الباحثة أن نسبة عود الفاعل إلى الله –عز وجل– هي الصحيحة إذا كان المراد من (الناس) العموم. كما ذهب إليه الزجاج معللًا بقوله: "لأن جَعْلَهَا زينةً محبوبة موجودٌ، واللَّه قد زهَّد فيها بأن أعلم وأرى زوالها"(١).

وأما مَن قال بأن الشيطان هو المزين فقد جانبه الصواب؛ لأن الله سبحانه وتعالى زين للناس حب الشهوات من مصادرها المتعددة التي ذكرت في الآية؛ من أجلهم ولتحقيق سعادتهم في الدنيا أثناء القيام برسالتهم في الحياة وتحقيق الخلافة على الأرض، كما أرادها الله، فالله منحهم حب الزينة في الحياة وهي من مظاهر نِعمَه على الخلق في الدنيا تكوينًا لرغبة الحياة وشغفًا في أداء الرسالة وتحقيق الخلافة، وإن كان نعيم الدنيا لا يضاهى ولا يقارن بنعيم الآخرة وهذا ما ختمت عليه الآية الكريمة؛ ولهذا فقد جانب الصواب القول القائل بأن المزين هو الشيطان؛ إنما يأتي دور الشيطان في الانحراف عن المنهج الذي وضعه الله للسير بأمان والاستمتاع بالحياة وصولًا للفوز بالآخرة بالتزام المنهج المستقيم.

وأما إذا كان المراد من (الناس) عامًا أريد به خاص بأن كان المراد بها الكفار؛ كما أشار سليمان بن مقاتل في تفسيره(٢) إلى أن المرد بـ(الناس) (الكفار)، وعلى مذهبه سيكون الفاعل هو الشيطان زينها بغرض إضلالهم، ففي هذه الحالة يصح كون المزين لهم الشيطان. والله أعلم

إعراب (حب الشهوات):

قد وضح الوجه الإعرابي لـ(حب الشهوات) من توجيه القراءتين؛ حيث إنّ (حب الشهوات) في القراءة المتواترة: نائب فاعل للفعل (زُيِّنَ) مرفوع بحركة

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٣/١.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان٢٦٦/١.

الضمة الظاهرة، وأما في القراءة الشاذة قراءة البناء للمعلوم فموضعه الإعرابي النصب بالفتحة الظاهرة؛ لكونه مفعولًا به للفعل (زَيّنَ).

و(حب) مضاف و(الشهوات) مضاف إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله؛ وهي إضافة جائزة؛ لأن المصدر يعمل عمل الفعل سواء أكان مضافًا أم غير مضاف، فيرفع فاعلًا ويتعدى إلى المفعول مثل فعله، نحو: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾[1]. فـ(دفع) مصدر مضاف إلى فاعله وهو (الله) و(الناس) مفعوله. وقد يضاف إلى الفاعل فيجره لفظًا، وينصب المفعول به، وقد يضاف المصدر كذلك إلى المفعول بِهِ فيجره لفظًا، ويرفع الفاعل، نحو: عجبت من أكل زيد الخبزَ وَمن أكل الخبزِ زيدُ[2]؛ وذكر الفاعل في الجملة بعد إضافة المصدر إلى المفعول أقل من عدم الذكر، وقد كثر إتيانه في القرآن الكريم مضافًا إلى المفعول غير مذكور فاعله؛ "ولذا لم يجئ في القرآن رفعه بعد الإضافة إلا في رواية يحيى بن الحارث عن ابن عامر أنه قرأ: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكَرِيَّاءُ ﴾[3]. بضم الدال والهمزة، وجاء الاستغناء عنه كثيرًا، نحو: ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾[4]. ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ ﴾[5]. ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى

(١) سورة البقرة من الآية: ٢٥١، وسورة الحج من الآية: ٤٠.

(٢) ينظر: اللمع لابن جني ص١٣١، وشرح بن عقيل٣/٨٥،٨٤.

(٣) سورة مريم الآية: ٢. حيث قرئ قوله تعالى: (عبده) بالرفع والنصب، وقرئ قوله تعالى: (زكريا) بالقصر، والمد، وتسهيل الهمزة . ينظر: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص٣٥٧، والكامل في القراءات لأبي القاسم ص ٥٩٥.

(٤) سورة البقرة من الآية: ٨٥.

(٥) سورة البقرة النساء من الآية: ٢٠.

ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡقَوۡمِ ﴾[١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[٢]. ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ ﴾[٣]"[٤].

معنى (الناس)، و(الشهوات):

أولًا– الناس: من (أنس) الهمزة والنون والسين أصلٌ واحد، وهو ظهورُ الشيء، وكلُّ شيءٍ خالَفَ طريقة التوحُّش. قالوا: الإنْس خلاف الجِنّ، وسُمُّوا لظهورهم. يقال آنسْتُ الشيء إذا رأيتَه. قال الله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدًا ﴾[٥][٦]. والإنْسُ جماعةُ الناس وهم الأَنَسُ تقول رأيت بمكان كذا أَنَسًا كثيراً، كثيراً، أي: ناسًا[٧].

والإنْسُ البَشَرُ، كالإنْسَانِ، الواحد إنْسِيٌّ وأنَسِيٌّ جمع أناسِيُّ. وقَرَأَ يَحْيَى بنُ الحَارِثِ وأناسِيَ كثيراً بالتخفيفِ، وأناسيَةٌ وآناسٌ. والمرأةُ إنْسَانٌ، وبالهاء عامِّيَّةٌ، والأُناسُ: الناسُ[٨]. ولفظ الناس مجمل شمل بني آدم جميعًا.

ثانيًا– الشهوة:

(شها) شَهِيتُ الشيء بالكسر. وشَهِيَ الشيءَ وشَهاهُ يَشْهاهُ شَهْوَةً واشْتَهاهُ وتَشَهّاهُ أَحَبَّه ورَغِب فيه[٩].

---

(١) سورة البقرة النساء من الآية: ١٠٤.

(٢) سورة النحل من الآية: ٩٠ .

(٣) سورة ص من الآية: ٢٤ .

(٤) شرح التسهيل لابن مالك ٤٤٥/٢.

(٥) سورة النساء من الآية: ٦.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة مادة(أنس).

(٧) ينظر: العين مادة(أنس).

(٨) ينظر: القاموس المحيط مادة الـ(إنس).

(٩) ينظر: لسان العرب مادة(أنس).

(حب الشهوات) في التصريف:

(حُبّ) مصدر ثلاثي على وزن (فُعْل) بضم الفاء وسكون العين، اجتمع فيه مثلان العين واللام، وجاء الأول ساكنًا فأدغم في الثاني. والفعل منه (حَبَّ) على وزن فَعَلَ اجتمع فيه المثلان: (عين ولام الكلمة)، وأريد إدغامه فتم تسكين عينه(١).

و(الشَهَوَات) جمع بـ(ألف وتاء) فُتحَت عينه؛ لكون مفرده (شَهْوَة)، وهو اسم ثلاثي ساكن الوسط صحيح العين غير مدغمة، وفاؤه مفتوحة؛ لذا وجب فتح عينه إتباعًا لحركة فاؤه، كما يُقال في جمع (حَسْرَة): (حَسَرَات) بفتح العين في قوله تعالى: (كذلك يريهم الله أعمالهم حَسَرَات عليهم)، وفتحت العين في الاسم فرقًا بينه وبين الصفة(٢)، قال الأنباري: "وأما فتح العين فلأجل الفصل بين الاسم الاسم والصفة، فإن ما كان على فَعْلَة من الأسماء فإنه يفتح منه العين نحو قَصَعَات وجَفَنَات، وما كان صفة فإنه لا تحرك منه العين، نحو خَدْلَات وصَعْبَات"(٣). وقال الرضي: "كل ما كان على وزن فَعْل وهو مؤنث بتاء ظاهرة أو مقدرة كدعد، وجفنة، فإن كان صفة كصعبة أو مضاعفًا كَمَدَّة أو معتل العين كبيضة وجوزة، وجب إسكان عينه في الجمع بالألف والتاء، وإن خلا من هذه الأشياء وجب فتح عينه، كتَمَرَات ودَعَدات ... وإنما سكنت عين الصفة وفتحت عين الاسم فرقًا، وكانت الصفة بالسكون أليق لثقلها باقتضائها الموصوف ومشابهتها للفعل، ولذلك كانت إحدى علل منع الصرف"(٤).

---

(١) ينظر: الممتع في التصريف لابن عصفور ص ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٩.

(٢) ينظر الانصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم(٤)١/٤٤، وشرح الكافية للرضي ٣/٣٩٢، ٣/٣٩٢، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري١/٢٤٤.

(٣) ينظر الانصاف في مسائل الخلاف مسألة رقم(٤)١/٤٤.

(٤) شرح الكافية ص٣/٣٩٢، ٤٣٩.

وقال العكبري: "وَحُرِّكتِ (الهاء) في (الشهواتِ)؛ لأنّها اسم غيرُ صفة"[١].

وسكون العين فيما كان على فَعل أو فعْلَة اسمًا يُعَد شاذًا؛ قال السمين الحلبي: "والشَّهوات: جمعُ (شَهْوة) بسكون العين، فَحُرِّكَت في الجمع، ولا يجوزُ التسكينُ إلا في ضرورةٍ"[٢]، وقد استشهد بقول عروة: [٣]:

تَحَمَّلْتُ زَفْرَاتِ الضحى فَأَطَقْتُها ... ومالي بزَفْرَاتِ العَشِيِّ يَدَانِ

بتسكين الفاء[٤].

وأما النحاس فأجاز تسكين (العين) لكون (اللام) (واوًا)؛ حيث قال: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ) اسم ما لم يسمّ فاعله، وحرّكت (الهاء) من الشهوات فرقًا بين الاسم والنعت ويجوز إسكانها؛ لأن بعدها (واوا)"[٥]. والشهوات جمع بـ(الألف والتاء) استعمل إجمالًا وصفًا لكل ما يمثل متاع في الحياة الدنيا، ثم تم تفصيله بذكر أمتعة الحياة الدنيا بـ(من) الجارة التي تفيد التفصيل والتبيين والتبعيض؛ وعلل الزمخشري جعل الأعيان التي ذكرها شهوات؛ مبالغة في كونها مشتهاة محروصًا على الاستمتاع بها، والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات؛ لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء، وأن مَن اتبعها مذموم شاهد على نفسه بالبهيمية، وقال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾، ثم جاء بالتفسير، ليقرر أوّلا في النفوس

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٤٤/١.

(٢) الدر المصون٥٧/٣.

(٣) البيت من بحر الطويل وهو لعروة بن حزام في ديوانه ص٤٥، وشرح بن عقيل١١٢/٤، والتصريح٥١٥/٢، وهمع الهوامع٩١/١.

الشاهد: (زفرات) بتسكين الفاء في الموضعين، وهو ضرورة حسنة؛ لأن العين قد تسكن للضرورة مع الإفراد والتذكير. ينظر: التصريح٥١٥/٢.

(٤) ينظر: الدر المصون٥٧/٣.

(٥) إعراب القرآن ص ١٢٤.

أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير، ثم يفسره بهذه الأجناس، فيكون أقوى لتخسيسها، وأدلّ على ذم مَن يستعظمها ويتهالك عليها، ويرجح طلبها على طلب ما عند اللَّه[١].

بينما علل لذلك أبو حيان بقوله: "وعبر عن المشتهيات بالشهوات؛ مبالغة؛ إذ جعلها نفس الأعيان، وتنبيهًا على خستها؛ لأن الشهوة مسترذلة عند العقلاء، يذم متبعها، ويُشْهد له بالانتظام في البهائم، وناهيك لها ذمًا قوله صلى الله عليه وسلم: (حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره)[٢]. وأتى بذكر الشهوات أولاً مجموعة على سبيل الإجمال، ثم أخذ في تفسيرها شهوة؛ ليدل على أن المُزَين ما هو إلا شهوة دنيوية لا غير، فيكون في ذلك تنفير عنها، وذم لطالبها وللذي يختارها على ما عند الله"[٣].

معنى (اللام) في (للناس):-

كثرت معاني حرف (اللام) وتنوعت؛ ولهذا يلاحظ لبعض العلماء منهج يختلف عن غيره في ذكر الأوجه التي تأتي عليها (اللام) ثم ذكر معانيها، ودارت معاني (اللام) الجارة حول الاستحقاق أو التخصيص أو الملك أو التمليك أو شبههما، والتي قد يجمعها جميعًا الاختصاص. وفي كل أحوالها تدخل على الظاهر والمضمر، نحو: (الغلام لزيد، والغلام لك).

ففي رصف المباني نجد المالقي قسم (اللام) إلى زائدة وغير زائدة، وقسم كلًا منهما إلى عامل وغير عامل، وجعل من العاملة ما يعمل خفضًا، وعدَّ من

(١) الكشاف ٥٣٣/١.

(٢) الحديث في صحيح مسلم- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم(٢٨٢٢)، والجامع الصحيح (سنن الترمذي) – باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات برقم (٢٥٥٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط٤١٣/٢، ٤١٤.

معانيها: معنى الاختصاص، وقد بدأ بمعنى التخصيص وبين مواضعه المتعددة، ثم معنى الملك، نحو: (الثوب لزيد)، ومعنى الاستحقاق، نحو: (الباب للدار)، فمعنى النسب نحو: (الأب لعبد الله والابن لخالد)، ثم معنى التبعيض نحو: (الضرب والتسبيح لعمرو)، وذكر أن هذه المعاني يجمعها النسبة، وأنواع النسبة لا تكاد تحصر لكثرتها(١).

وأما المراديّ فجمع كل المعاني التي تأتي عليها في قسمين العاملة وغير العاملة، وعدَّ (اللام الجارة) من العاملة، وقد انتهى من حديثه عن (اللام) بأن التحقيق أن معنى (اللام) في الأصل هو الاختصاص، وهو معنى لا يفارقها، وقد يصحبه معان أُخر. وإذا تؤمِلَت سائر المعاني المذكورة وُجِدت راجعة إلى الاختصاص(٢).

ثم جاء ابن هشام ليجلي (اللام) بوضوح فجعل (اللام) ثلاثة أقسام- عاملة للجر، أو عاملة للجزم، أو غير عاملة، خلافًا للكوفيين الذين جعلوا من أقسامها العاملة للنصب.

وذكر معاني (اللام) الجارة اثنين وعشرين معنى ومنها الاستحقاق والاختصاص والملك والتمليك وشبه التمليك، والتي قيل فيها أن الاختصاص يجمع كل هذه المعاني(٣).

وقد فرق الزجاجي بين معنى الاستحقاق وبين معنى الملك في قوله: "(لام) الاستحقاق خافضة لما يتصل بها، كما تخفض (لام) الملك ومعنياهما متقاربان إلا أنا فصلنا بينهما؛ لأن من الأشياء ما تستحق ولا يقع عليها الملك، و(لام)

(١) ينظر: رصف المباني ص٢٩٣، ٢٩٤.
(٢) ينظر: في الجنى الداني ص ٩٥، ٩٦، ١٠٩.
(٣) ينظر: مغني اللبيب ص٢٢٥: ٢١١.

الاستحقاق، كقوله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[2]؛ وكقولك: المنة في هذا لزيد والفضل فيما تسديه إلي لزيد، ألا ترى أن المنة والفضل ليس مما يملك وإن كان المملوك والمستحق حاصلين للمستحق والمالك"[3].

تعقيب:

(اللام) في قوله تعالى: (زُيِّنَ للناس) تفيد الاستحقاق؛ وقد عرف ابن هشام الاستحقاق بأن (اللام) فيه هي الواقعة بين ذات ومعنى، نحو: الحمد لله، والملك لله[4]. وهذا المعنى هو المناسب لـلام الجر في (للناس)، والمتعلقة بـ(زُيِّنَ)؛ فالاستحقاق نابع من تخصيص التزيين لهم فالتزيين اختصه الله بالناس دون غيرهم من المخلوقات؛ لأنهم المعنون بالتكليف والخلافة.

قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾

قوله تعالى: (من النساء)، وما عُطف عليه تبيين وتوضيح لمصادر الزينة. وقد بدأ بذكر ما يُعَد زينة من جنس المزين لهم من بني آدم، وهم النساء والبنين. فهم زينة لبعضهم؛ ومن ثَمّ يحدث التآلف والتعاون بينهم؛ فيستقيم العيش معًا.

(١) سورة الفاتحة الآية: ٢.

(٢) سورة الأعراف من الآية: ٤٣.

(٣) ينظر: كتاب اللامات ص ٦٥.

(٤) ينظر: مغني اللبيب ص ٢١١، ٢١٢.

معنى (النساء والبنين):

أولًا– النساء: من نسو: النِّسْوَةُ والنّسوان والنّسُون كلّه: جملة النِّساء، لا واحِدَ لهُ من لفظه(١).

والنِّسْوةُ والنُّسْوة بالكسر والضم والنِّساء والنِّسْوانُ جمع المرأَة من غير لفظها(٢).

ثانيًا– البنين: من(بنو) الباء والنون والواو كلمةٌ واحدة، وهو الشيء يتولَّد عن الشيء، كابنِ الإنسان وغيره(٣). ومؤنّثة الابنِ ابنةٌ على لفظه، وفي لغة بنتٌ والجمعُ بنات وهو جمعُ مؤنثٍ سالم"(٤).

ويضاف ابن إلى ما يُخصِّصُه؛ لملابسةٍ بينهما، نحو: ابنِ السّبيلِ أي مارّ الطريقِ مسافرًا، وهو ابن الحرب، أي: كافيها وقائمٌ بحمايتها. وابن الدنيا، أي: صاحبُ ثروة. وابن الماءِ لطيرِ الماءِ(٥).

(النساء) في التصريف:

(النساء) جمع تكسير، وأصل لامه الواو، وقيل: أن أصلها (ياء)؛ قال السمين الحلبي: "ولامُ النساءِ الظاهرُ أنَّها من واوٍ؛ لظهورها في مرادِفِه، وهو نِسْوَان ونِسْوَة، ويَحْتمل أن تكون ياءً اشتقاقًا من النسيان"(٦).

ومفرد (النساء) (نسوة) وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، وإنما له واحد من معناه وهو امرأة، ويجوز فيه التذكير والتأنيث؛ قال سيبويه: "وتقول في

---

(١) العين مادة (نسو).

(٢) ينظر: الصحاح مادة(نسا)، ولسان العرب مادة(نسا).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة مادة(بنو)

(٤) ينظر: المصباح المنير مادة (بنو).

(٥) ينظر: المصباح المنير مادة (بنو).

(٦) الدر المصون/ ٣٤٧.

الإضافة إلى نساء: نِسْويٌّ، أنه جماع نِسْوة وليس نِسْوة بجمع كسّر له واحد"[١]. وقال النحاس: " واحد النساء نسوة ولا واحد لنسوة من لفظه ولكن يقال: امرأة"[٢].

وذكر القرطبي أنه يقال: في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾[٣] (نُسوة) بضم النون، كما في قراءة الأعمش والمفضّل والسُّلَميّ[٤]. والجمع الكثير نساء. وأنه يجوز: وقالت نسوة، وقال نسوة، مثل: قالت الأعراب، وقال الأعراب[٥].

(بنين) في التصريف:

(البنين)[٦]. جمع لكلمة (ابن)، وهي في الأصل على وزن(فِعْل)؛ كأنّ أصله بِناية، أو على وزن (فَعَل)؛ لأن همزتها عوض عن (اللام) المحذوفة، والمقدرة (واوًا) بـ(بَنَو)؛ لورود الجمع منه على بنون، وكذلك جمعه على أفعال، وهو ينقاس فيما كان على وزن (فَعَل) أو (فَعْل)، أو أن لامها ياء (بَنْي)، فحذفت لام الكلمة وعوض عنها بهمزة الوصل، واختار النحاس كون لامه ياء؛ حيث قال: "الواحد ابن، والأصل فيه: بَنَي، وقيل فيه: بنو، ولو لم يحذف منه لقيل:

(١) كتاب سيبويه٣/٣٧٩.

(٢) إعراب القرآن ص١٧١.

(٣) سورة يوسف من الآية:٣٠.

(٤) قراءة في قوله تعالى: (ما بال النسوة) سورة يوسف من الآية ٥٠. بضم النون لأبي حيوة، حيوة، وابن أبي عيلة، والشموني، والبرجمي عن الأعشى، الباقون بكسر النون. ينظر: الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها ص٥٧٦.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٩/١٧٦.

(٦) ينظر: المصباح المنير مادة (بنو). قال ابن مالك: "وكان حق ابن وابنة أن يقال في تصحيحهما: ابنون وابنات، كما قيل في تثنيتهما: ابنان وابنتان، إلا أن المسموع ما ذكر من بنين وبنات" شرح التسهيل١/٩٦.

بنا، كما يقال: عصا. فمن قال: المحذوف منه واو احتجّ بقولهم: البُنُوّة. وهذا لا حجّة فيه؛ لأنهم قد قالوا الفتوّة"(١). وقد ذكر الزجاج أن أصل ابن هو بنو أو بني، وأن (البنوة) ليست بدليل فسوّى بينهما؛ حيث قال: "و(أبناءكم) جمع ابن، والأصل كأنه إنما جمع بني وبنو، ويقال ابن بيِّن البنوة، فهي تصلح أن تكون فَعَل وفِعْل ... والبنوَّة ليست بشاهد قاطع في الواو؛ لأنهم يقولون الفتوة والفتيان في التثنية – قال عزَّ وجلَّ:﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِ ﴾(٢). فابْن يجوز أن يكون المحذوف منه الواو أو الياءُ. وهما عندي متساويان"(٣).

وأما الرضي فذكر أن أصلها الواو(بَنَو)، واستدل بأن جمع (ابن) جاء على (بنون، وأبناء)؛ وأن (الفُتُوة) في الفتى على غير القياس؛ إذ قال: "وأصل (ابن) بَنَو – بفتح الفاء والعين؛ لأن جمعه أبناء والأفعال قياس فَعَلٍ مفتوح العين ... وابنة في الأصل بَنَوة؛ لكونه مؤنث ابن ولام ابن واو؛ لقولهم في المؤنث بنت، وإبدال التاء من الواو أكثر منه من الياء، وأيضًا البنوة يدل عليه وأما الفتوة في الفتى فعلى غير القياس"(٤).

إعراب (من النساء والبنين):

الجار والمجرور (من النساء)، والمعطوفات في موضع نصب حال من (الشهوات)؛ قال العكبري: "(مِنَ النِّسَاءِ): في موضع الحالِ مِن الشَّهَوَاتِ"(٥). وقال السمين الحلبي: "(مِن النساء) في محلِّ نصبٍ على الحال من (الشهوات)، والتقدير: حال كونِ الشهواتِ من كذا وكذا فهي مفسرةٌ لها في المعنى، ويجوز أَنْ

(١) إعراب القرآن للنحاس ص٣٧.

(٢) سورة يوسف من الآية:٣٦.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج١١٩/١، ١٢٠.

(٤) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب٢٥٦/٢، ٢٥٧.

(٥) التبيان في إعراب القرآن ٢٤٤/١.

تكونَ (مِنْ) لبيان الجنس، ويدل عليه قول الزمخشري[١]. ثم يُفَسِّره بهذه الأجناس"[٢].

مناقشة ترتيب مصادر الزينة:

انقسم العلماء في تعليل الغرض من ذكر المعطوفات والتسلسل الذي جاءت عليه في الآية، إلى فريقين:

الفريق الآول- علل تقديم (النساء) على جميع المصادر بكلمات ينأى المقام عن ذكرها، ومنهم أبو حيان[٣]. والسمين[٤]؛ فقد عللوا تقديم (النساء) بالذم والنيل منهن، ولا شك فقد ظهر التعصب لجنس الرجال في مقابلة النساء، بمنطوق عرف اجتماعي يعتد به لديهم بعيدًا عن الحياد العلمي؛ خاصة أن (الواو) تقتضِي جمعًا وتشريكًا أكثر من إفادتها الترتيب.

والفريق الآخر- قد علل تعليلًا علميًا بعيدًا عن الحياة العرفية والاجتماعية، فنبعت العلة عندهم من وجهة نظر علمية على النحو التالي:

- **السهيلي** علل تقديم (النساء) على (البنين): بأن السبب في تقديم المقدم أولًا هو الرتبة؛ فالنساء أولًا وهن سبب في وجود الأبناء؛ حيث قال: "وأما قوله تعالى: (حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ). فتقديم النساء على البنين بالسبب، وتقديم البنين على الأموال بالرتبة"[٥].

بل قد قدم السهيلي مقياسًا؛ لتعليل الترتيب يسار عليه في بيان مزية تقديم شيء على غيره؛ حيث ذكر أنه مما لا يكاد ينحصر في القرآن الكريم، لفائدة

(١) الكشاف ٥٣٣/١.

(٢) الدر المصون٥٨/٣.

(٣) البحر المحيط ٢/ ٤١٤.

(٤) ينظر: الدر المصون٦١/٣، ٦٢.

(٥) نتائج الفكر للسهيلي ص٢١٢

وحكمة؛ لأنه كلام الحكيم الخبير. فأتى بأصلٍ يقف على الأصح، ويرشد إلى الطريق الأوضح؛ حيث ذكر: أن ما يتقدم من الكلام؛ فتقديمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان. وأنّ المعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال. فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة، أو بأكثرها سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق، وكان ترتيب الألفاظ بحسب ذلك. وقد يكون ترتيب الألفاظ بحسب الخفة والثقل لا بحسب المعنى، كقوله: (ربيعة ومضر)، وكان تقديم مضر أولى من جهة الفضل، ولكنهم آثروا الخفة؛ لأنك لو قدمت (مضر) في اللفظ كثرت الحركات وتوالت، فلما أخرت وقف عليها بالسكون. ومثله: (الجن والإنس)، فإن الإنس أخف لفظًا؛ لمكان النون الخفيفة والسين المهموسة، فكان تقديم الأثقل أولى بأول الكلام من الأخف؛ لنشاط المتكلم(١).

– **الزركشي** في كتابه البرهان في علوم القرآن علل تقديم البنات على البنينَ، وتأخير ذكر الذهب والفضةِ عن (النساءِ والبَنِينِ) في قولِه تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ بقوله: "لِأَنَّهما أَقوى في الشهوةِ الجِبِلِّيَّةِ مِن المالِ فإنَّ الطبعَ يَحُثُّ على بَذلِ المالِ، فيَحصلُ النّكاحُ والنساءُ أَقْعَدُ مِن الأولادِ في الشهْوَةِ الجِبِلّيةِ والبَنُونَ أَقْعَدُ مِن الأَموالِ والذهَبُ أَقْعَدُ مِن الفضةِ والفضةُ أَقْعَدُ مِن الأَنعامِ إذ هي وسيلةٌ إلى تحصِيلِ النِّعَمِ فلما صُدِّرَتِ الآيةُ بذكر الحبِّ وكان المحبوبُ مُختَلفَ المراتبِ اقتضَت حكمةُ الترتيبِ أَنْ يُقَدَّمَ ما هو الأهَمُّ فالأَهَمُّ في رُتبةِ المحبوباتِ"(٢).

(١) ينظر: نتائج الفكر للسهيلي ص٢٠٩.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢٤٨/٣.

– **العلوي** اقتفى في حديثه عن التقديم والتأخير أثر السهيلي في بيان أساسيات الترتيب والتقديم؛ حيث علل الترتيب في قوله تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾[1] بقوله: "فلأن الله تعالى لما صدّر الآية بذكر الحب، وكان المحبوب مختلف المراتب، متفاوت الدرج، اقتضت الحكمة الإلهية تقديم الأهم فالأهم من المحبوبات، فقدم النساء على البنين؛ لما يظهر فيهن من قوة الشهوة، ونزوع الطبع، وإيثارهن على كل محبوب، وقدم البنين على الأموال؛ لتمكنهم في النفوس، واختلاط محبتهم بالأفئدة، وهكذا القول في سائر المحبوبات، فالنساء أقعد في البيوت، والبنون أقعد في المحبة من الأموال، والذهب أكثر تمكنًا من الفضة، والخيل أدخل في المحبة من الأنعام، والمواشي أدخل من الحرث"[2].

وقد ذكر أبو حيان: أن تقديم (البنين) حبًا في البنين أكثر من المال؛ حيث قال: "وقدّموا على الأموال؛ لأن حب الإنسان ولده أكثر من حبه ماله، وحيث ذكر الامتنان والإنعام أو الاستعانة والغلبة قدمت الأموال على الأولاد"[3].

هذا، ولا يخفي ما في معنى (الواو) من الجمع والتشريك.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٤.

(٢) ينظر: الطراز المتضمن الأسرار البلاغية وعلوم حقائق الأعجاز للعلوي ٢/ ٦٢، ٦٣. وكما ذكر العلوي أن تقديم (البنين) على (الأموال)؛ بسبب ذكرها في معرض الشهوة وتمكين المحبة. ذكر كذلك أن تقديم الأموال على البنين في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ –سورة التغابن من الآية: ١٥–؛ لأأنه في معرض ذكر الافتتان، ولا شك أن الافتتان بالمال أدخل من الافتتان بالأولاد؛ لما فيه من تعجيل اللذة والوصول إلى كل مسرة، والتمكن من البسطة والقوة.

(٣) ينظر: البحر المحيط٢/٤١٤.

﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾

بدأ بقوله تعالى: (القناطير المقنطرة) ذكر الزينة العينية مما يملك، ويتملكه الانسان؛ مبالغة في بيان طمع الانسان فيها، وحبه الاستزادة منها، والتزين بها.

معنى (القناطير المقنطرة):

(القناطير) جمع قِنطار، وهو معيار يدل على الكثير من المال، والآية الكريمة قصرت القناطير على الذهب والفضة، وقد اختلف العلماء في دلالته وبيان مقداره؛ حيث نجدهم يذكرون الأوجه الواردة في مقداره؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر:

– ذكر مقاتل ابن سليمان في تفسيره أن (القناطير المقنطرة) تعني: المال الكثير من الذهب والفضة، ثم حدد مقداره في قوله: "فأما (الذهب) فهو ألف دينار ومائتا دينار، و(الفضة) ألف ومائتا مثقال"(١).

– ذكر الخليل في تحديد القنطار أقوالًا للعرب، فالقنطار: أربعون أوقية من ذهب أو فضة، ويقال: ثمانون ألف درهم، ويقال: أنه رطل من ذهب أو من فضة، ويقال بالسريانية: مثل مِلء جِلْد ثور ذهبًا أو فضة. وبالبربرية: ألف مثقال من ذهب أو فضة. وفي التصريف: مخرجه على قول العرب؛ لأن الرجل يقنطر قنطارا كل قطعة أربعون أوقية كل أوقية وزن سبعة مثاقيل(٢).

– قال الفراء: "وقوله (والقناطير المقنطرة) واحد (القناطير) قنطار. ويقال إنه ملء مَسْك ثور ذهبًا أو فضة، ويجوز (القناطير) في الكلام، والقناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة، كذلك سمعت وهو المضاعف"(٣).

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٢٦٦/١.

(٢) ينظر: العين للخليل مادة(قنطر).

(٣) معاني القرآن ١٩٥/١.

– ذكر الزجاج أن (القنطار) يعني: الجملة من المال؛ حيث قال: "أن القنطار مأخوذ من عقد الشيء وأحكامه والقنطرة مأخوذة من ذلك، فكأن القنطار هو الجملة من المال التي تكون عقدة وثيقة منه"(١).

– ذكر ابن الأثير: أن من قام بألف آية يعد من المقنطرين؛ لأنه بقيامه بها قد كتب من المقنطرين، وأُعْطِي –بإذن الله– قِنْطارًا من الأجر(٢).

معنى (المقنطرة):

وصفت (القناطير) بقوله تعالى: (المقنطرة)؛ لبيان أن شهوة المال قد لا تقف عند حد، فدائمًا ما يتطلع الانسان إلى الاستزادة. ومعنى(المقنطرة): المجمعة، أو المكملة؛ مبالغة وتأكيدًا في دلالتها على الكثرة؛ حيث قال النحاس: "مقنطرة مكملة، كما تقول: آلاف مؤلفة"(٣). وقال الأزهري: "فإذا قالوا قناطيرُ مُقَنْطَرة فمعناها: ثلاثة أَدْوارٍ: دَوْرٌ ودَوْرٌ ودَوْرٌ، فمحصولها اثنا عشر أَلف دينار"(٤).

علاقة القنطار بالغنى:

بَانَ مما تقدم من معنى (القنطار): أن الغالب في دلالته أنه من مقادير الذهب والفضة، أو من مقادير المال الكثير عمومًا، والذهب والفضة نوع منه يندرج تحته؛ فـ(من الذهب والفضة) تفصيل وتوضيح لما أُجمِل في القنطار. قال أبو حيان: "والقنطار يختلف باختلاف البلاد في قدر الأوقية"(٥).

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٣/١.
(٢) ينظر: النهاية في غريب الأثر باب القاف مع النون، مادة قنطر ١١٣/٤.
(٣) ينظر: معاني القرآن ٣٦٧/١.
(٤) ينظر: تهذيب اللغة باب (القاف والطاء).
(٥) البحر المحيط ٤١٥/٢.

وجعل الثعالبي القنطار أعلى مراتب الغنى؛ حيث قال في تفصيل الغنى وترتيبه عن الأئمة: الكفاف، ثم الغنى، ثم الإحراف، وهو أن ينمي المال ويكثر عن الفراء ثم الثروة ثم الإكثار ثم الإتراب وهو أن تصير أمواله كعدد التراب ثم القنطرة وهو أن يملك الرجل القناطير من الذهب والفضة(١).

(القناطير المقنطرة) في التصريف:

(القناطير) جمع ومفرده قنطار، والقنطار دال على الكثرة ولا واحد له، ووصفت بالمقنطرة تأكيدًا أو بيانًا بأنها مجمعة أيضًا، ومادتها هي قنطر يقنطر، مقنطر، وقيل أن مادتها قطر، ولتوضيح ذلك: قد نقل النحاس قول العرب عن ان كيسان أن (القناطير) جمع، وأن (المقنطرة) بمعنى المجمعة فالقناطير جمع ومقنطرة مجموعة كذلك؛ إذ قال: "لا تكون القناطير المقنطرة أقلّ من تسعة لأن معناها المجمّعة فالثلاثة قناطير فإذا جمعتها صارت مثل قولك: ثلاث ثلاثات"(٢). بينما فسر الزمخشري مجيء الوصف بـ(المقنطرة) بأنه توكيدًا، كما في قولهم: ألف مؤلفة؛ حيث قال: "و(المقنطرة) مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم: ألف مؤلفة، وبدرة مبدرة"(٣).

وزن قنطار:

يوزن القنطار **بأحد اعتبارين: الأول**– كون (النون) فيه حرفًا أصليًا، وأحرف الزيادة فيه (الألف) فقط، وعليه فوزن (قنطار): (فِعْلال)؛ وقد عد ابن عصفور قنطارًا من الأسماء الرباعية المزيدة على وزن فِعْلال فتكون مادته (قِنْطَر) بوزن فِعْلَل على مثال (زِبْرَج)؛ حيث ذكره في الأسماء الرباعية المزيدة

(١) ينظر: فقه اللغة وسر العربية١/٩٤.

(٢) ينظر: إعراب القرآن ص ١٢٤.

(٣) ينظر: الكشاف١/٥٣٣.

بحرفين على وزن فِعْلال في قوله: "وعلى فِعْلال، ويكون فيهما، فالاسم نحو: قِنطار. والصفة نحو: سِرداح. ولم يجئ مضعَّفًا إلا مصدرًا، كالزِّلزال والقِلقال"(١).

ومما يدل على ذلك ما ذكره الخليل: أنه في التصريف مخرجه على قول العرب؛ لأن الرجل يقنطر قنطارًا، كل قطعة أربعون أوقية، كل أوقية وزن سبعة مثاقيل(٢). وما أورده ابن الأثير من أنّ صفوان بن أميَّة قَنْطَر في الجاهليَّة وقَنْطَر أبُوه، أي: صار له قنْطار من المال(٣). قال أبو حيان: "والمقنطرة: مُفَعْلَلة، أو مُفَيْعِلَة من القنطار. ومعناه المجتمعة، كما يقول: الألوف المؤلفة، والبدرة المبدَرة. اشتقوا منها وصفاً للتوكيد. وقيل: المقنطرة المضعفة"(٤).

والاعتبار الثاني- زيادة (النون) فيه، وكون أحرف الزيادة فيه حرفي (النون والألف) معًا؛ وعليه فمادته حينئذ (قطر يَقْطُر)، ويكون وزنه (فِنعال) بزيادة حرفي (النون والألف)؛ قال العكبري: "والنونُ في القنطارِ أصلٌ، ووزنُه (فِعْلَال)، مثل: حِمْلَاقٌ. وقيل: هي زائدةٌ، واشتِقاقُه من قَطَرَ يَقْطُرُ إِذَا جَرَى"(٥)؛ وعليه يكون وزن (المُقَنْطَرة) مُفَنْعَلة من لفظه، أَي: مُتَمَّمة، كما قالوا: أَلف مُؤَلَّفة مُتَمَّمة ويجوز القناطير في الكلام، والمُقَنْطَرةُ تسعة والقناطير ثلاثة، ومعنى المُقَنْطَرة المُضَعَّفة(٦).

(١) ينظر: الممتع في التصريف ص١٠٦.

(٢) ينظر: العين للخليل مادة(قنطر).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر باب القاف مع النون مادة (قنطر)١١٣/٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط٤١٥/٢.

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن الكريم ٢٤٤/١.

(٦) ينظر تهذيب اللغة باب القاف والطاء، ولسان العرب مادة(قنطر).

معنى (الذهب والفضة):

(الـذهب): مـادة الـ(ذهب) الـذالُ والهـاء والبـاء أُصَـيْل يـدل علـى حُسْـن ونَضـارة[١]. و"(الـذَّهَبُ) معـدن ثمـين وشـيءٌ (مُـذَهَّبٌ) و(مُـذْهَبٌ) أي: مُمَـوَّه بالذهَب"[٢].

(الفضة): الفِضَّةُ من الجواهرِ معروفة، وشيءٌ مُفَضَّضٌ مُمَّوه بالفِضَّةِ[٣]. ولجام مُفَضَّضٌ أي مرصع بالفضة[٤].

إعراب (من الذهب والفضة):

الجـار والمجـرور (مِـنَ الـذَّهَبِ وَالْفِضَّـةِ) فـي موضـع نصـب الحـال مـن القنـاطير المقنطـرة؛ قـال العكبـري: "(مـن الـذَّهَب) فـي مَوضِـع الحـال مـن المقنطرة"[٥]. وقال أبـو حيـان: "(مِـنَ الـذَّهَبِ والفِضَّـةِ) تبيين للقنـاطير، وهـو فـي موضع الحال منها، أي كائنًا من الذهب"[٦].

(الذهب والفضة) في التصريف:

أولًا–(الذهب):

من حيث التذكير والتأنيث فيه ثلاث لهجات:

اللهجة الأولى– أن (الذهب) مؤنث[٧]. وهي لهجة أهل الحجاز، وبلغتهم نزل القرآن الكريم، كما فـي قولـه تعـالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ

(١) ينظر: مقاييس اللغة مادة(ذهب).

(٢) ينظر: مختار الصحاح مادة(ذهب).

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم مادة(فضض).

(٤) ينظر: مختار الصحاح مادة (فضض).

(٥) التبيان في إعراب القرآن ٢٤٤/١.

(٦) البحر المحيط ٤١٥/٢.

(٧) ينظر: العين مادة(ذهب)، وتهذيب اللغة للأزهري مادة (ذهب)، وإعراب القرآن للنحاس ص١٢٤، والبحر المحيط ٤٠٩.

وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[١]؛ قال الخليل: "وأهلُ الحجاز يقولون: هي الذَّهَبُ، وبلغتهم نزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، ولولا ذلك لَغَلَبَ المذكرُ المؤنثَ. والقطعة منها: ذَهَبة"[٢]، وتابعه الأزهري[٣]. وقال النحاس: "الذَّهَبِ مؤنثة، يقال: هي الذهب الحسنة"[٤]، وهي لهجة كثيرة الاستعمال عند أهل الحجاز؛ كما قال الزمخشري: "وكثرت عند أهل الحجاز، ويقولون: أعطني ذهيبتي، وعندي ذَهَبَة"[٥]. كما أن الذهب ورد في تصغيره (ذُهَيْبَة) لحقته (التاء) بعد تصغيره؛ قال ابن الأثير في (ذُهَيْبَة): "هي تصغير ذَهَب وأدخل (الهاء) فيها؛ لأنَّ (الذَّهَب) يُؤَنَّث والمُؤَنث الثُّلاثِي إذا صُغِّر أُلْحِق في تَصْغيره (الهاء)، نحو: قُوَيسَة وشُمَيسَة"[٦]. وتابعه أبو حيان[٧]، والسمين الحلبي[٨].

وقد رد الأزهري القول بتأنيث (الذهب) بأنه ليس على ظاهره؛ وإنما أنث على إرادة معنى الجمع؛ حيث قال: "قلت: الذّهب مُذكّر عند العرب، ومن أنَّثه ذَهب به مذهب الجميع"[٩]. ثم استدل على ذلك: بأنه قد تعددت أقاويل النحويين في عود الضمير إلى (الذهب) مؤنثًا في قول الله تعالى: (ولا يُنفِقونهَا): أحد هذه الأقوال– أنّ المعنى يَكْنِزُون الذّهب والفضَّة، ولا ينفقون الكنوز في سبيل الله.

---

(١) سورة التوبة من الآية: ٣٤ .

(٢) ينظر: العين مادة(ذهب)

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري مادة (ذهب).

(٤) ينظر: إعراب القرآن ص١٢٤.

(٥) ينظر: أساس البلاغة مادة ذهب ٣٢١/١،

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٧٣/٢ باب الذال مع الهاء مادة (ذهب).

(٧) ينظر: البحر المحيط٤٠٩/٢.

(٨) الدر المصون٥٨/٣.

(٩) ينظر: تهذيب اللغة مادة(ذهب)

وثانيها– أن التأنيث جائز أن يكون محمولاً على الأموال، فيكون التقدير: ولا ينفقون الأموال. وثالثها– أن التأنيث جائز على تقدير حذف، فيكون التقدير: ولا ينفقون الفضّة، وحذف الذَّهب، على تقدير: والذين يَكنزون الذهب ولا يُنفِقونه، والفضّة ولا يُنفقونها، فاختصر الكلام، كما قال الله جلَّ وعزّ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾[١]، ولم يقل: يُرضوهما[٢].

اللهجة الثانية– أن(الذهب) مذكر وهي لهجة جميع العرب ما عدا الحجاز؛ فقد عزاها الخليل لغير أهل الحجاز؛ حيث قال بعد عزو لهجة التأنيث للحجاز: "وغيرهم يقول: هو الذَّهب"[٣]؛ وكذلك ذهب الأزهري إلى التذكير إذ قال: "وسائر العرب يقولون: هو الذهب، قلت: الذّهب مُذكّر عند العرب"(٤)، وأكثر العلماء على أن الذهب مذكر وقد يؤنث قليلًا؛ كأبي نصر الفارابي؛ حيث قال: "الذهب معروف، وربما أُنِّثَ، والقطعة منه ذَهَبَةٌ"[٥]، وابن فارس؛ حيث قال: "الذهب معروف وقد يؤنث، فيقال: ذَهَبَة"[٦]، والأصفهاني[٧].

اللهجة الثالثة– أن (الذهب) يذكر ويؤنث: فيذكر عودًا على لفظه باعتباره اسم جنس، ويؤنث باعتبار واحده (ذَهَبَة)؛ قال ابن سيدة: "والذَّهَبُ: التبر، واحدته ذَهَبَةٌ، وعلى هذا يذكر ويؤنث، على ما تقدم في الجمع الذي

(١) سورة التوبة من الآية: ٦٢.
(٢) ينظر: تهذيب اللغة مادة(ذهب).
(٣) ينظر: العين مادة(ذهب)
(٤) ينظر: تهذيب اللغة مادة(ذهب)
(٥) ينظر: الصحاح مادة (ذهب).
(٦) ينظر: مقاييس اللغة مادة (ذهب).
(٧) ينظر: مفردات غريب القرآن ١/٢٤٠، مادة (ذهب).

لا يفارقه واحده إلا بالهاء"[١]. و"الذَّهَبُ: التِّبْرُ، والقِطْعَةُ: ذَهَبَةٌ. ويُؤَنَّثُ الذَّهَبُ ويُذَكَّرُ "[٢].

ثانيًا- الذهب من حيث الإفراد وغيره:

كثرت الأوزان في جمع (الذهب)؛ تبعًا لتعدد الأقوال فيه على النحو التالي:

أحدها- أن (الذهب) مفرد، ويجمع على (ذهاب) بوزن (فِعال)، و(ذُهُوب) بوزن (فُعُول)، و(أذهاب) بوزن (أفْعَال)، (ذِهبان) بوزن فِعْلان، و(ذُهْبان) بوزن (فُعْلان)[٣]؛ فالنحاس في جمعه ذكر وزني (ذِهاب، وذُهُوب) في قوله: "الذَّهَبِ مؤنثة، يقال: هي الذهب الحسنة، وجمعها ذهاب وذهوب"[٤]. وتابعه أبو حيان في ذكر هذين الوزنين[٥]. بينما ذكر أبو نصر الفارابي أن جمع الذهب (أَذْهاب وذُهُوب)، ثم ذكر أن جمع الجمع لـ(أذْهاب): هو (أَذَاهب)[٦]. وقد ذكر الزمخشري وزن (ذُهْبان) مع وزن (أذْهاب) في قوله: "ولفلان ذُهبان وأذهاب كثيرة"[٧]. وأما ابن الأثير: فذكر وزني (ذِهبان وذُهْبان)؛ حيث قال عن

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم مادة (ذهب).

(٢) المحيط في اللغة مادة (ذهب).

(٣) ينظر: الصحاح مادة (ذهب)، ومقاييس اللغة مادة (ذهب)، والقاموس المحيط مادة(ذهب)، والجامع لأحكام القرآن٤/٣٢.

(٤) ينظر: إعراب القرآن ص ١٢٤.

(٥) ينظر: البحر المحيط٢/٤٠٩.

(٦) ينظر: الصحاح مادة(ذهب).

(٧) أساس البلاغة مادة ذهب ١/٣٢١.

(الـذِهْبان): "هـو جمـع ذَهَـب، كَبَـرَقٍ وبِرْقَـان. وقـد يُجْمـعُ بالضـم نحـو: حَمَـل وحُمْلان"[١].

وأما ابن فارس فقد ذكر وزن (أذْهاب) بوزن (أفْعال). جمعًا لهذه المادة؛ حيث قصر (أذهاب) جمعًا للمعنى المراد هنا، وأما الأوزان الأخرى المذكورة فقيد كل وزن بمعناه ومادته[٢].

والقـول الثـاني– أن الـذهب جمـع فـي المعنـى، قـال النحـاس: "ويجـوز أن يكون جمع ذهبة وجمع فضة فضض"[٣]. وقال الفيروز آبادي: "والذهب التبر ويؤنث واحدته بـ(هاء)، ج [جمعه] أذهاب وذهوب وذُهْبان بالضم"[٤]. وقال أبو حيان: "وقيل: الذهب جمع ذهبة"[٥]. وتابعه السمين الحلبي[٦].

تعقيب:

ترى الباحثة أن الجمع الصحيح لمعنى الذهب المراد في الآية الكريمة هو وزن (أَذْهاب) فقط، وهو ما ذكره ابن فارس حيث قصر (أذهاب) جمعًا للمعنى المراد(٧)، وأما الأوزان الأخرى المذكورة فقيدها بمعانيها؛ حيث إن وزن (ذِهَاب) (ذِهَـاب) (فِعَـال) قـد قيَّـده الفـارابي[٨]، وابـن فـارس[٩]، وابـن الأثيـر[١٠]، وابـن

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر٢/ ١٧٣.
(٢) ينظر: مقاييس اللغة مادة (ذهب).
(٣) ينظر: إعراب القرآن ص١٢٤.
(٤) القاموس المحيط مادة (ذهب).
(٥) ينظر: البحر المحيط٢/٤٠٩.
(٦) ينظر: الدر المصون٣/٥٨.
(٧) ينظر: مقاييس اللغة مادة (ذهب).
(٨) ينظر: الصحاح مادة (ذهب).
(٩) ينظر: مقاييس اللغة مادة (ذهب).
(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر٢/ ١٧٣، ١٧٤، وقد ذكر كذلك أن (ذهاب) وجمعه =

سيدة"[١]. جمعًا لمادة (ذِهْبَة) بمعنى المطرة أو مطر جود؛ قال الفارابي: "والذِّهْبة بالكسر المطرة والجمع الذهاب؛ قال البعيث[٢]:

وذي أُشَرٍ كالأُقْحُوان تشُوفُهُ * ذِهَاب الصَبا والمُعْصِرات الدوالحُ**"[٣].

كما نقل ابن سيده عن الفارسي: أنه رد القول بأن جمع الذهب على الذهاب؛ حيث قال: "(الذَّهَب): يُقَال ذهبٌ وذِهاب. قَالَ أَبُو عَليّ: لَيْسَ الذِهاب جمع ذَهَب، ولكنه يُقَال: ذَهَبَة فـ(ذِهاب) جمعه، وأذهبْت الشَّيْء وذهّبته"[٤]، وقال الزمخشري: "ووقعت الذِّهاب في أرضنا جمع (ذَهْبَة)"[٥].

=

أذاهب، جمعًا لذهب نوع من المكيال؛ حيث قال: "وفي حدِيثِ عِكْرِمةَ سُئِل عَنْ أَذَاهِبَ مِن بُرٍّ وأَذَاهِبَ مِن شعِير، فقال: يُضم بعضُها إلى بعضٍ ثُمَّ تزكى. الذّهبُ بفتحِ الهاءِ: مِكيالٌ معروفٌ باليمنِ، وجمْعُه أَذْهابٌ، وجمعُ الجمعِ أَذَاهِب". النهاية في غريب الحديث الأثر ٢/١٧٤.

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم مادة (ذهب).

(٢) البيت من بحر الطويل للبعيث المجاشعي في ديوانه ص٤١، وتهذيب اللغة للأزهري باب العين والصاد مع الراء، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده مادة (دلح)، ولسان العرب مادة (ذهب).

الشاهد في البيت: حيث جاء (ذِهَاب) جمعًا لـ(ذِهْبة) بمعنى: المطرة الضعيفة، وليست جمعًا للذهب المعروف.

(٣) ينظر: الصحاح مادة (ذهب).

(٤) ينظر: المخصص ٣/ ٢٩٥. عله أراد (ذِهْبَة)، والخطأ في الضبط.

(٥) أساس البلاغة مادة ذهب ١/٣٢١.

ثانيًا– الفضة:

الفضة مفرد، وجمعه فِضَض ولا خلاف في ذلك(١)؛ قال النحاس: "وجمع فضة فِضَض"(٢).

وقال محمد الرازي: "وأما الفِضَضُ بكسر الفاء فجمع الفِضَّةِ"(٣). والفضة من انفض الشيء إذا تفرق؛ وعليه فمادتها (فضّ)؛ ومنه: فضضت القوم(٤). وذكر السمين الحلبي: أن الفضة يُجْمع على فِضَض. وأن اشتقاقَها من انفضَّ الشيء إذا تفرَّق(٥).

معنى (مِن):

تأتي (مِن) لمعانٍ كثيرة منها:

ابتداء الغاية نحو قول الله –عز وجل–: ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾(٦)، والمعنى الذي يخدم الموضع في الموطن الحالي اثنان– أحدهما– أن (من) تفيد التبعيض، وهو كثير: نحو قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(٧)، وقوله تعالى:﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾(٨)، وعلامتها جواز الاستغناء عنها بـ(بعض)(٩)، قال ابن مالك: "ومجيء من التبعيض كثير، كقوله تعالى:

(١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم مادة (فضض).

(٢) ينظر: إعراب القرآن ص١٢٤.

(٣) ينظر: مختار الصحاح مادة (فضض).

(٤) ينظر: البحر المحيط٢/٤٠٩.

(٥) ينظر: الدر المصون ٣/٥٨.

(٦) سورة الإسراء من الآية: ١.

(٧) سورة آل عمران من الآية: ٩٢.

(٨) سورة البقرة من الآية: ٢٥٣.

(٩) ينظر: شرح التسهيل ٣/١٣٣، ١٣٤، ومغني اللبيب ص ٣١٣، ٣١٤.

﴿ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾[1]. وعلامتها جواز الاستغناء بـ(بعض) عنها، كقراءة عبد الله﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ بَعْضَ تُحِبُّونَ ﴾[2]"[3].

والآخر- أن (من) تفيد بيان الجنس، نحو قوله تعالى(يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابًا خضرًا من سندس: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[4]، ونحو: (قبضت رطلًا من قمح)، كونها لتبيين الجنس، ونحو: ثوبٌ من صُوفٍ، وخاتمٌ من حديدٍ. وربما أوهم هذا المعنى التبعيضَ[5]، وأشار ابن يعيش إلى أن مَرْجِعَها إلى شيء واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾[6]. وذلك أنّ سائر الأرجاس يجب أن تُجتنب، وبين المقصودَ بالاجتناب من أيّ الأرجاس، واعتبارُه أن يكون صفة لِما قبله، وأن يقع موقعَه (الذي)[7]، وفي كون (من) لبيان الجنس قال ابن هشام: "بيان الجنس وكثيرًا مَا تقع بعد ما ومهما وهما بها أولى لإفراط إبهامهما، نحو: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[8]،﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾[9]، ﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ

(١) سورة النور من الآية: ٤٥.

(٢) سورة آل عمران من الآية: ٩٢. هذه القراءة عزيت إلى عبد الله ابن مسعود في الكشاف للزمخشري١/٥٨٢، البحر المحيط ٢/٥٤٦، والدر المصون٣/٣١٠.

(٣) شرح التسهيل ٣/١٣٣، ١٣٤.

(٤) سورة فاطر من الآية: ٢.

(٥) ينظر: شرح التسهيل٣/١٣٤، ومغني اللبيب ص ٣١٣.

(٦) سورة الحج من الآية: ٣٠.

(٧) ينظر: شرح ابن يعيش٤/٤٦٠.

(٨) سورة فاطر من الآية: ٢.

(٩) سورة البقرة من الآية: ١٠٦.

ءَايَةٍ ﴾[١]، وهي ومخفوضها فِي ذلك في مَوضِع نصب على الحال ومن وقوعها بعد غَيرهما ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾[٢][٣]. ﴾[٢][٣].

تعقيب:

يبدو في حقيقة الأمر أن كلا المعنيين التبعيض، وبيان الجنس: تحققا في الآية الكريمة؛ حيث إن معنى التبعيض في قوله تعالى: (من النساء) هو الصحيح، وإن كان من النحاة من ذهب إلى أنها لبيان الجنس ظهر ذلك من خلال إعراب (من النساء) بأنها حال. وأما المعنى الثاني: وهو بيان الجنس فقد تحقق في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾؛ حيث فسر معنى القناطير المقنطرة من جنس المذكورات التي تلتها.

قال تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾

يدور الزمان ويتغير وتبقى مصادر الزينة، كما حددها القرآن الكريم، فالخيل الغرض منها الركوب والتزين بها. وتتطور الوسيلة المؤدية لهذا الغرض من سيارات وطائرات وغيرها من الزينة المتخذة للتزين والركوب وقطع المسافات، وقد يستجد مع الزمن مالا نعرفه الآن؛ تسليمًا بما تضمنته الآية الكريمة: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤]. واختصت الخيل في الآية الكريمة؛ لتميزها وجمالها، وشدة الرغبة إليها أكثر من غيرها.

(١) سورة الأعراف من الآية: ١٣٢.

(٢) سورة الكهف من الآية: ٣١.

(٣) ينظر: مغني اللبيب ص ٣١٣.

(٤) سورة النحل من الآية: ٨ .

(الخيل المُسَوَّمَة) في اللغة:

(الخيل) علم على نوع من الحيونات معروف بصورته المميزة ويتخذ ركوبة وزينة.

وقد ورد في اشتقاقه قولان: أحدُهُما- أن (الخيل) من الاختيال وهو العُجْبُ، سُمِّيت بذلك لاختيالِها في مِشْيتها وطولِ أذْنابِها. والثاني- أن (الخيل) من التخيُّل؛ لأنَّها تتخيَّلَ في صورة مَنْ هو أعظمُ منها. وقد يرجع أصلُ الاختيالِ إلى التخيُّل، وهو التشبُّه بالشيء؛ لأنَّ المختالَ يتخيَّل في صورة مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ كِبْراً[1]. قال أبو البقاء: "وَوَاحِدُ الْخَيْلِ خَائِلٌ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْخُيَلَاءِ، مِثْلُ طَيْرٍ وَطَائِرٍ"[2].

معنى (المسومة):

يدور معنى (الخيل المسومة) حول معنى المرسلة، أو المُعَلَّمة، أو المَرْعية، أو الحسنة[3]، قال مقاتل بن سليمان: "يعني السائمة، وهي الراعية"[4]. "والخيل المُسَوَّمَةُ: المرسلة وعليها ركبانها"[5]. والخيل المسومة تعني: المعلَّمة ذات علامة، أو أنها الخيل المرعية؛ قال الزجاج: "ومعنى (وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ) في اللغة – الخيل عليها السِّيمَاءُ والسُّومَة وهي العلامة، ويجوز – وهو حسن – أن يكون المسومة السائمة، وأُسِيمَت أُرْعِيَتْ"[6]. وهذه المعاني لا تمتنع عند النحاس، إلا أنه حَسَّن كون معنى الخيل المسومة: الخيل الحسنة، من

(١) ينظر: الدر المصون ٥٩/٣.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢٤٤/١.

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس ٣٦٧/١، والصحاح مادة (سوم)، والدر المصون ٦٠/٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان ٢٦٦/١.

(٥) ينظر: المصباح المنير مادة (سوم).

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٣/١.

قولهم: (رجل وسيم)، ثم ذكر أنها قد تكون راعية، حسانًا، معلّمة؛ لتعرف من غيرها[١].

(الخيل المسومة) في التصريف:

الخيل مؤنث، واختلف في كونها مفردًا أم جمعًا على قولين:

الأول– أن الخيل اسم جمع مؤنث يدل على الجمع، ولا واحد له من لفظه بل مفرده الفرس؛ فهو اسم جمع نظير: قوم ورهط ونساء[٢]؛ قال أبو البقاء: "وقال قَوْمٌ: لَا وَاحِدَ لَهُ مِن لَفْظِه بَلْ هو اسْمٌ لِلجَمْعِ، والوَاحِدُ فَرَسٌ، ولَفْظُهُ لَفْظُ المَصْدَرِ"[٣].

الثاني– أنه جمع وواحده خايل، فهو نظير: راكب وركب وتاجر وتجر وطائر وطير[٤]. قال النحاس: " واحد الخيل خائل، مثل: طائر وطير. وقيل له: خائل؛ لأنه يختال في مشيته"[٥].

وقد جمع السمين الحلبي القولين معًا في قوله: "والخيلُ فيه قولان: أحدُهما– أنه جمعٌ ولا واحدَ له من لفظه بل مفردُهُ (فرس) فهو نظيرُ: قوم ورهط ونساء. والثاني– أنَّ واحدَه (خايل) فهو نظير راكب ورَكْب، وتاجِر وتَجْر، وطائِر

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس١/٣٦٧.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ص١٢٤، والمحكم والمحيط الأعظم مادة (سوم)، والتبيان في إعراب القرآن ١/٢٤٤، والدر المصون٣/٥٩.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/٢٤٤.

(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/٢٤٤، ٢٤٥، والمحكم والمحيط الأعظم مادة (سوم)، والدر المصون٣/٥٩.

(٥) إعراب القرآن ص ١٢٤.

وطَيْر"[١]. وقال ابن سيده: "واحدها خائل؛ لأنه يختال في مشيه، وليس هذا بمعروف ... والجمع: أخيال، وخُيول"[٢].

الثالث: أن (خَيْل) مخفف من (خَيِّل) بالتشديد، نحو: مَيْت ومَيِّت، وهَيْن وهَيِّن؛ قال أبو البقاء: "وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُخَفَّفًا مِنْ خَيَّلَ"[٣]. وفيه نظرٌ؛ لأنَّ كل ما سُمِع فيه التخفيف سُمِع فيه كذلك التثقيلُ، فلا تخفيف في (الخيْل) من ثقيل؛ لأنه لم يُسْمع إلا مخففًا[٤].

معنى الأنعام:

(الأنعام) المال الراعي، وأكثر ما يقع على الإبل. وقال الزجاج: "الأنعام المواشي واحدها نَعَم، أكثر استعمالها في الإبل"[٥]، والأنعامُ ذواتُ الخُفِّ والظِّلْفِ والظِّلْفِ وهي الإِبِلُ والبَقَرُ والغَنَمُ. والنَّعَمُ تطلق على الإِبِلُ خَاصَّةً، والأنعامُ تطلق على هذهِ الثَّلَاثَةِ الإبل والبقر والغنم[٦]. قال مقاتل بن سليمان: "والأنعام وهي (الإبل والبقر والغنم)"[٧]. وجمع النحاس أقوال العلماء في دلالة (الأنعام): القول الأول- أنّ الأنعام الإبل خاصة. والقول الثاني- أن النعم تدل على الإبل وحدها، وأن (الأنعام) تدل على الإبل والغنم والبقر معًا. والقول الثالث- أن (الأنعام) تشمل كلّ ما أحلّه الله -جلّ وعزّ- من الحيوان، وهذا القول أصح الأقوال عند النحاس؛ مستدلًا على صحته بقول الله -جلّ وعزّ-: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ

(١) الدر المصون٣/٥٩.
(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم مادة (خيل).
(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/٢٤٥.
(٤) الدر المصون٣/٥٩.
(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٨٣.
(٦) ينظر: المصباح المنير مادة(نعم)، والبحر المحيط٢/ ٤٠٩
(٧) تفسير مقاتل١/٢٦٦.

إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[١].[٢]. وقد سميت الإبل والبقر والغنم بالأنعام؛ لنعومة مشيها ولينها[٣].

الأنعام في التصريف:

أولًا- من حيث التذكير والتأنيث:

(الأنعام) جمع مؤنث خلافًا للزجاج، وواحده (النعم)، وهو اسم جمع يذكر ويؤنث؛ يقال: (لمن هذه النعم)، و(لمن هذا النعم) ؛

وأما ما ورد من عود الضمير مذكرًا؛ فقد تم تخريجه على أن عود الضمير إليه مذكرًا باعتبار مفرده(النعم)؛ قال الفراء: "وأما قوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾[٤]، ولم يقل بطونها، و(الأنعام) هي مؤنثة؛ لأنه ذهب به إلى النعم والنعم ذكر. وإنما جاز أن تذهب به إلى واحدها لأن الواحد يأتي فِي المعنى على معنى الجمع"[٥].

وكذلك يذكر ويؤنث (الأنعام) عند الزجاج بكونه اسم جنس يذكر ويؤنث؛ فيصح عود الضمير عليه مذكرًا، كما يصح عوده مؤنثًا، وهذا على مذهب الزجاج[٦]؛ ومما يؤيد ما ذهب إليه الزجاج ونقل الفراء عن الكسائي أنه كان ذهب إلى تذكير الأنعام؛ بقوله: "وقد كان الكسائي يذهب بتذكير (الأنعام)"[٧].

---

(١) سورة المائدة من الآية: ١.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ص٢٨٨.

(٣) ينظر: البحر المحيط٢/٤٠٩، والدر المصون٣/٦١.

(٤) سورة النحل من: ٦٦.

(٥) معاني القرآن١/ ١٢٩، وينظر: ٢/١٠٨، ١٠٩.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٠٩.

(٧) معاني القرآن١/ ١٢٩، وينظر: ٢/١٠٨، ١٠٩.

ثانيًا- من حيث الإفراد وغيره:

القول الأول- أن (الأنعام) جمع، وواحده (نَعَم)؛ و(نعم) اسم جمع. وجمع (الأنعام): (أناعيم)؛ فالنَّعَمُ اسم جَمْعٌ لَا واحِدَ له مِن لفظه يؤنث ويذكر[١]. ويجمع (النَّعَمُ) على (نُعْمَانٌ) مثل: حمل وحملان، ويجمع كذلك على (أنعام)[٢].

القول الثاني- أن (الأنعام) اسم جنس يذكر ويؤنث؛ قال الزجاج: "الأنعام المواشي واحدها نَعَم، أكثر استعمالها في الإبل"[٣]. وقال أيضًا: "والأنعام لفظه لفظ جمع، وهو اسم للجنس يذكر ويؤنث، يقال: هو الأنعام، وهي الأنعام"[٤].

ولعله استشهد بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾[٥]؛ حيث عاد الضمير مذكرًا على (الأنعام).وقد خرجه الفراء كما ذكر على اعتبار واحده النعم؛ قال ابن الشجري: "فأمّا ما جاء فى التنزيل من عود الضمير مذكّرا بعد جمع فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾. فإن الضمير أعيد إلى النّعم وهو واحد الأنعام، وهو مع تذكيره يوقع على جماعة من الإبل، فيقال: لمن هذا النّعم؟ كما يقال: لمن هذا القطيع؟[٦].

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٠٩، والمصباح المنير مادة(نعم)، والمحكم والمحيط الأعظم مادة (نعم)، والبحر المحيط٢/ ٤٠٩، و الدر المصون٣/٦١.

(٢) ينظر: المصباح المنير مادة (نعم).

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٨٣/١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٠٩.

(٥) سورة النحل من: ٦٦.

(٦) ينظر: أمالي ابن الشجري٣/٩٥.

معنى (الحرث):

(حَرَثَ) الحاءُ وَالرَّاءُ والثاءُ أصلانِ مُتَفاوتان: أحدُهما– الجمعُ والكسبُ، والآخرُ أنْ يُهْزَلَ الشيْءُ. فالأولُ الحَرْثُ، وهو الكَسبُ والجَمْعُ، وبه سُمِّي الرجلُ حارثًا"[١]. فالحَرْثُ: كسب المال وجمعُه. والحرث الزرع، والحراث الزراع، وقد حَرَثَ واحترث، مثل: زرع وازدرع، ويقال: احرث القرآن، أي ادرسه"[٢]. والحَرْثُ والحِراثَةُ: العَمل فِي الأَرض زرعًا كَانَ أَو غرسًا، وقد يكون الحرثُ نفسَ الزرع[٣]. وقال الفيروز آبادي: "وهو إِلقاءُ البَذْر فى الأَرض وتهيئتها للزرع، ويسمى المحروث حَرْثا، قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ ﴾[٤] ... والدّنيا مَحْرَث للناس وهم حُرّاث فيها"[٥].

وقال ابن سيده: "الحَرْثُ والحِرَاثَةُ: العمل في الأرض زرعا كان أو غرسًا، وقد يكون الحَرْثُ نفس الزرع، والحَرْثُ: الكسب، والفعل كالفعل والمصدر كالمصدر. وهو أيضا الاحِتِرَاثُ. والحَرْثُ: متاع الدنيا، وفي التنزيل: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[٦]. والحَرْثُ: الثواب والنصيب، وفي التنزيل: (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ له في حَرْثِه)"[٧].

(١) ينظر: مقاييس اللغة مادة (حرث).

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مادة (حرث).

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (حرث).

(٤) سورة القلم من الآية: ٢٢.

(٥) ينظر: بصائر ذوي التمييز في كتاب الله العزيز (بصيرة في الحرث).٢/٤٤٥/ ٤٤٦.

(٦) سورة الشورى من الآية: ٢٠.

(٧) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم مادة (حرث) بتصرف.

الحرث في التصريف:

(الحَرْثُ) مصدر بمعنى المفعول في الآية الكريمة وهو مصدر من الفعل (حَرَثَ) بوزن (فَعَلَ) متعديًا، ويطرد مصدره على وزن(فَعْل)، نحو: نَصَرَ نَصْرًا، وحَرَثَ حَرْثًا[١]. قال العكبري: "وَلَمْ يَجْمَعِ (الحَرْثَ)؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ"[٢]. وقال السمين في قوله(والحرث): "مصدرٌ واقعٌ موقعَ المفعول به، فلذلك وُحِّد ولم يُجْمَع كما جُمِعَت أخواتُه"[٣].

إعراب قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾

(زيِّنَ) فعل ماض على صيغة البناء للمفعول مبني على الفتح، و(للناس) اللام حرف جر، والناس اسم مجرور بحرف اللام وعلامة جره الكسرة متعلق بـ(زين). (حب الشهوات) (حب) نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وهو مضاف والشهوات مضاف إليه. (مِن) حرف جر، و(النساء) اسم مجرور بحرف الجر وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور في محل نصب على الحال. و(الواو) حرف عطف، وما بعدها من (البنين، والقناطير، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث) مجرورات عطفًا على النساء؛ قال أبو البقاء: (والخيل المسومة والأنعام والحرث) معطوف على (النساء)، وغير معطوفة على الذهب والفضة؛ قال أبو البقاء: "(وَالْخَيْلِ): مَعْطُوفٌ على (النِّسَاءِ)، لَا على الذَّهَبِ والفِضَّةِ؛ لأنَّها لَا تُسَمَّى قِنْطَارًا"[٤]. وأما قوله تعالى: (مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) فهو تبيين للقناطير في موضع نصب على أنه حال من القناطير المقنطرة"[٥].

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٤٤/١، ٢٤٥، والدر المصون٦١/٣.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢٤٤/١، ٢٤٥.

(٣) الدر المصون٦١/٣.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٢٤٤/١.

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢٤٤/١، والبحر المحيط ٤١٥/٢.

معنى الواو:

(الواو) أم حروف العطف؛ لكثرة استعمالها ودورها فيه ومعناها: الجمع والتشريك، ولا تخلو من هذين المعنين في عطف المفردات. فإن عطفت مفردًا على مفرد فإنها تشرك بينهما في اللفظ والمعنى، أما اللفظ فهو الاسمية أو الفعلية والرفع والنصب الخفض والجزم، فيتبع الأول الثاني في اسمين من ستة: في واحد من الاسمية والفعلية، وفي واحد من الرفع والنصب والخفض والجزم(١).

ومذهب جمهور النحويين أنها لمطلق الجمع؛ فإذا قلت: (قام زيد وعمرو) احتمل ثلاثة أوجه:

الأول أن يكونا قاما معًا في وقت واحد، والثاني أن يكون المتقدم قام أولًا. والثالث– أن يكون المتأخر قام أولًا؛ قال سيبويه: "وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء ولا بشيء مع شيء ... فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني، فإذا سمعت المتكلم يتكلم بهذا أجبته على أيها شئت؛ لأنها قد جمعت هذه الأشياء. وقد تقول: مررت بزيد وعمرو على أنك مررت بهما مرورين وليس في ذلك دليل على المرور المبدوء به"(٢). وذهب قوم إلى أنها للترتيب(٣).

والواو في عطف المفردات واسطة موصلة عمل العامل فيما قبلها إلى ما بعدها بواستطها على معنى (مع)(٤).

(١) ينظر: رصف المباني ص٤٧٣.

(٢) كتاب سيبويه٤٣٨/١.

(٣) ينظر: بتصرف الجنى الداني ص ١٥٨.

(٤) ينظر: رصف المباني ص٤٧٦.

واختلفت الأراء في عامل الإعراب في المعطوف إلى ثلاثة:

الأول- أن العامل في المعطوف هو الأول بواسطة الحرف، فإذا قلت: ضربت زيدًا أو عمرًا، فزيدٌ وعمرٌو جميعًا انتصبا بـ(ضربت)، والحرفُ العاطف دخل بمعناه، وشرّك بينهما.

والثاني- أن العامل في الثاني مقدر من جنس الأول، فالعامل: الفعل المحذوف بعد (الواو)؛ لأن الأصل في قولك: ضربت زيدًا وعمرًا: ضربت زيدًا، وضربت عمرًا، فحُذف الفعل بعد (الواو) لدلالة الأوّل عليه؛ ولأنه يجوز إظهارُه، فكما أنّه إذا ظهر كان هو العامل، فكذلك يكون هو العامل إذا كان محذوفًا من اللفظ مرادًا من جهة المعنى.

والثالث- أن العامل حرف العطف بالنيابة، وأن العامل في الأوّل الفعل المذكور، والعامل في المعطوف حرف العطف؛ لأن حرف العطف إنما وُضع؛ لينوبَ عن العامل، ويُغْنِيَ عن إعادته، فإذا قلت: قام زيدٌ وعمرٌو؛ فـ(الواو) أغنت عن إعادةِ (قَامَ) مرّةً أخرى، فصارت ترفع كما ترفع (قَامَ). وكذلك إذا عطفت بها على منصوب، نحوَ قولك: (إنَّ زيدًا وعمرًا منطلقان)، فـ(الواو) تنصب كما تنصب (إنَّ). وكذلك في الخفض إذا قلت: (مررت بزيدٍ وعمرو)، فـ(الواو) جرّت كما جرّت (الباء).

وفائدة الخلاف في هذا كله: جواز الوقف على المتبوع دون التابع عند من قال: العامل في الثاني غير الأول، وامتناعه عند من قال العامل فيهما هو الأول[1].

(١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٥/٤، وشرح الر ضي على الكافية٢/ ٢٨٠: ٢٨٢.

ثانيًا– قوله الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾[١].

أولًا– قوله جلّ وعلا:﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾

كما ابتدِئت مصادر الزينة بالإجمال تحت مسمى الشهوات، اختتمت كذلك بالإشارة إليها إجمالًا بأنها جميعًا في حكم ووصف واحد؛ فقوله تعالى: (ذلك متاع الحياة الدنيا) جملة اسمية استئنافية صدرت باسم الإشارة دلالة وإشارة إلى ما ذكر في الآية من مصادر الزينة، ثم أتبعه بالحكم ووصفها بأنها متاع الحياة الدنيا؛ فقوله: (ذلك) اسم إشارة إلى ما ذكر من مصادر الزينة؛ قال مقاتل: "(والخيل المسومة) يعني: السائمة، وهي الراعية، (والأنعام) وهي (الإبل والبقر والغنم)، (والحرث ذلك): الذي ذكر في هذه الآية: (متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب). يعني حسن المرجع، وهي الجنة"[٢].

وقال السمين الحلبي: "قوله: (ذلك مَتَاعُ) الإشارةُ بـ(ذلك) للمذكور المتقدِّم، فلذلك وَحَّد اسمَ الإشارة، والمشارُ إليه متعددٌ"[٣].

وأسماء الإشارة، توصَف ويوصف بها، فتوصف لِما فيها من الإبهام. ويوصف بها؛ لأنّها في مذهب ما يوصف به من المشتقّات، نحو: الحاضر، والشاهد، والقريب، والبعيدِ، فإذا قلت: "ذَاكَ"، فتقديره: البعيدُ، أو المُتَنَحِّي، ونحو ذلك، ولا توصَف إلَّا باسمِ جنس؛ لأن الغرض من وَصْفها بيانُ نوع المشار إليه[٤].

(١) سورة آل عمران من الآية: ١٤.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل ٢٦٦/١.

(٣) ينظر: الدر المصون ٦٢/٣، ٦٣.

(٤) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ٢٤٨/٢.

تعقيب:

من نعم الله علينا، أن أتي بمصادر الزينة متنوعة سواء من نفس الجنس، أو جميع الأجناس﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[1]. وذكر النساء ليس؛ لأنهن من حبائل الشيطان، ولا ذمًا فيهن، كما زعموا وإنما من باب التغليب؛ فالرجال أشد من النساء رغبة في هذا الأمر. وكثيرًا ما علل العلماء بالتغليب في جمع الجنسين معًا بكلمة واحدة، كالأبوين، والوالدين، والبنين. ولعل ذكر النساء من الشهوات فقط دون الرجال من باب التغليب.

ثانيًا- قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[2]

معنى (المآب):

(مآب) اسم مكان وزمان أو مصدر كذلك حسب دلالتها المنوية في النص، ومادته هي (آب) مهموز الفاء، ومعتل العين بالواو؛ يقال: آب يَؤوبُ، والأَوْبُ الرجوعُ آبَ إلى الشيء يَؤُبُ أَوْبا وإِيابا وأَوْبةً وأَيْبةً. و(المآب) المرجع؛ آب يؤوب إيابًا إذا رجع. و(الأوّابُ) من (آب) هو الراجع إلى الحق[3].

إعراب قوله تعالى: (والله عنده حسن المآب).

اسم الجلالة مبتدأ مرفوع، و(حُسْن) مبتدأ ثانٍ وهو مضاف و(المآب) مضاف إليه، و(عنده) خبر المبتدأ الثاني، والجملة الاسمية من المبتدأ الثاني وخبره خبر عن المبتدأ الأول (الله)[4]. وهي غاية في الفصاحة والتوكيد؛ حيث إنّ اسم الجلالة جاء مسندًا إليه، وفيه دلالة على عظمة ما أعده الله عزَّ وجلَّ لمريد ثواب الآخرة.

---

(١) سورة الأنعام من الآية: ٣٨.

(٢) سورة آل عمران من الآية: ١٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش ص٣٦٨، والمحكم والمحيط الأعظم مادة (أوب)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي٤/٣٧.

(٤) ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري١/١٨٠.

(عند) بكسر العين وفتحها لغة، ظرف مبهم معرب ملازم للإضافة، يفيد القرب والحضرة، وهو لابتداء الغاية في الزمان أو المكان، ولا يختص بمكان معين، وقد ذكر ابن يعيش أن معناها: هو القُرْبُ والحَضْرَةُ؛ ولذلك لزمتِ الإضافةَ للبَيان، إذ كانت مبهمةً، لأنّها لا تختصّ مكانًا معيَّنًا؛ لأنّ القرب والمُجاوَرَة أمرٌ إضافيٌّ، إذ الشيءُ يكون قريبًا من شخصٍ، بعيدًا من آخرَ. وهي لابتداءِ الغاية في الزمان والمكان، وذلك قولك: (من لَدُنْ صَلاة العَصْر إلى وقتِ كذا)[١].

(المآب) في التصريف:

(مآب)، وأصلها (مأوب)؛ لأنها من آب يؤوب على وزن فَعَلَ يَفْعَل وقياس الاسم منه أن يكون على وزن مَفْعَل بفتح العين فَعَلَ يفْعَل؛ فـ(مآب) على وزن مفْعَل، وأصله (مَأوب)؛ نقلت حركة العين (الواو) إلى الفاء (الهمزة) فتحركت الواو بحسب الأصل وفتح ما قبلها، وقلبت ألفًا. قال ابن الأنباري: "و(المآب) أصله مَأْوَب على وزن (مَفْعَل) من آب يؤوب، إلا أنه نُقِلَت حركة الواو إلى الهمزة، فتحركت الواو في الأصل، وانفتح ما قبلها الآن فقلبت ألفًا نحو: مقام ومقال"[٢]. وقال أبو البقاء: "و(المَآبِ): مَفْعَلٌ مِن آبَ يَئُوبُ، والأصل مَأْوَبٌ، فلمّا تَحَرَّكَتِ الواوُ وانْفتحَ ما قبلها في الأَصلِ، وهو آبَ، قُلِبَتْ ألفًا"[٣]. وقال السمين الحلبي: "وهو هنا اسم مصدرٍ أي: حَسَنُ الرجوع، وقد يقع اسم مكان أو زمان، تقول: آبَ يَؤُوب أَوْبًا وإيابًا ومآبًا، فالأوْب والإياب مصدران والمآبُ اسمٌ لهما"[٤].

(١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش٢/١٤٠.

(٢) ينظر: البيان في إعراب غريب القرآن لابن الأنباري ١/١٩٤.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١/٢٤٥.

(٤) ينظر: الدر المصون٣/٦٣.

الخاتمة

بنعمة من الله الهادي وفضل وصلت لخاتمة البحث التي تزدان بما تحتويه من نتائج رحلة الدراسة والسير في البحث. والتي تجلت –والله أعلى أعلم– في النقاط التالية:

- أن حب الانسان لمتاع الحياة أمر فطري.
- أن الخير في السير على المنهج الإلهي أثناء التمتع بمصادر الزينة.
- أن (الواو) في الآية الكريمة تفيد الجمع والتشريك، وتجلت مزية التسلسل في ذِكر الأهم فالمهم مكانة عند الانسان.
- أنّ البناء للمفعول غالبًا ما يأتي في النص القرآني لوضوح الفاعل.
- أن ذكر النساء دون الرجال، وذكر البنين دون البنات يُحْمَل على التغليب.
- لا يوجد مقدار للقنطار متفق عليه عند العرب، وهو كناية عن كثرة المال والغنى.
- (مِن) حرف جر في الآية جاء بمعنَيَي التبعيض وبيان الجنس.
- المصدر المضاف إلى مفعوله ورد كثيرًا في القرآن الكريم. واشتملت الآية على المصدر المضاف في موضعين.
- مصادر الزينة في الآية الكريمة جاءت في صورة اسم الجنس المحلى بـ(أل)؛ دلالة على الاستغراق والشمول لأفراد الجنس.
- جواز كون لام (ابن) الواو أو الياء على السواء عند الزجاج.

بعض المصادر والمراجع

- إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري(٦١٦هـ)، تح/ محمد السيد أحمد عزوز. عالم الكتب بيروت، ط أولى (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).
- أساس البلاغة لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(٤٦٧هـ – ٥٣٨هـ)، تح/محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، ط أولى (١٤١٨هـ –١٩٩٨م).
- الإنصاف في مسائل الخلاف للإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن الأنباري(٥١٣ –٥٧٧هـ)، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة، ط رابعة (١٣٨٠هـ –١٩٦١م).
- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث–القاهرة.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(٨١٧هـ)، تح/ الأستاذ عبد العليم الطحاوي، القاهرة(١٤١٢هـ–١٩٩٢م).
- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري(٥٧٧هـ)، تح/ الدكتور جودة مبروك محمد. مكتبة الآداب– القاهرة (٢٠١٠م).
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري(٦١٦هـ)، تح/ علي محمد البجاوي. عيسى الحلبي وشركاه.
- تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت ط أولى(١٤١٣هـ–١٩٩٣م).

- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(٢٢٤هـ-٣١٠هـ)، تح/الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر القاهرة، ط أولى(١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).
- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(٢٨٢هـ-٣٧٠). الدار المصرية للتأليف والترجمة، تح/ عبد السلام هارون
- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(١٩٤هـ- ٢٥٦هـ)، تح/ أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش. مكتبة الرشد ، ط ثانية(١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تح/الشيخ هشام سمير البخاري. دار عالم الكتب- الرياض.
- الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي(٧٤٩هـ)، تح/ فخر الدين قباوة ، والأستاذ محمد نديم فاضل. دار الكتب العلمية بيروت ط أولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف السمين الحلبي (٧٥٦هـ)، تح/ الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق.
- ديوان عروة بن حزام ، تح/ أنطوان محسن القوال. دار الجيل ، بيروت، ط أولى(١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الطلائع – القاهرة.
- شرح التسهيل لجمال الدين محمد ابن مالك(٦٧٢هـ)، تح/محمد عبد القادر عطا ، طارق فتحي السيد. دار الكتب العلمية ، بيروت، ط أولى(١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)٠

- شعر البعيث المجاشعي ، جمع وتحقيق/ الدكتور عدنان محمد أحمد. اتحاد الكتاب العربي – دمشق(٢٠١٠).
- الصحاح تاج اللغة وصِحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تح/ أحمد عبد الغفور عطار . دار العالم للملايين بيروت، ط الرابعة(١٩٩٠م)
- الطراز المتضمن الأسرار البلاغية وعلوم حقائق الأعجاز لأمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، المقتطف مصر(١٩١٤م).
- فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي(٤٢٩هـ)، تح/ خالد فهمي. مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط أولى(١٤١٨هـ- ١٩٩٨م).
- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها لأبي القاسم يوسف بن علي بن محمد بن عقيل الهذلي(٤٦٥هـ)، تح/ جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنشر والتوزيع ط أولى(١٤٢٨هـ- ٢٠٧٧م).
- كتاب الطراز المتضمن الأسرار البلاغية وعلوم حقائق الأعجاز، لأمير المؤمنين يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، مصر(١٢٢٢هـ- ١٩١٤هـ .
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٠هـ)، تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط أولى (٢٠٠٣م -١٤٢٤هـ).
- كتاب اللامات لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت/٣٣٧هـ)، تح/ مازن مبارك. دار الفكر بدمشق، ط ثانية(١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
- الكتاب المصنف الحديث والآثار لأبي بكر عبد الله محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي(٢٣٥هـ) ، تح/ كمال يوسف الحوت. دار التاج، ط أولى (١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).
- كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح / عبد السلام هارون . مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط السادسة(١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م).

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(٤٤٦٧هـ -٥٣٨هـ)، تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط أولى (١٤١٨هـ -١٩٩٨م).
- اللمع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني، تح/ الدكتور سميح أبو مغلي. دار مجدلاوي للنشر، عمان (١٩٨٨م).
- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة (٤٥٨هـ)، تح/ الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط أولى(١٤٢١÷ -٢٠٠م).
- مختار الصحاح للشيخ أبي بكر بن عبد القادر ، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان بيروت(١٩٨٩م).
- معاني القرآن الكريم للإمام أبي جعفر النحاس(٣٣٨هـ)، تح/ الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ط أولى (١٤٠٨هـ -١٩٨٨م).
- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري(٣١١هـ)، تح / دكتور عبد الجليل عبده الشلبي، عالم الكتب، ط أولى (١٤٠٨هـ-١٩٨٨).
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر(١٣٩٩هـ -١٩٧٩م).
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصاري(٧٦١هـ)، تح/ الدكتور مازن المبارك، محمد علي حمد الله. دار الفكر، بيروت ط أولى(١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تح/ مكتب الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.
- الممتع الكبير في التصريف لابن عصفور الإشبيلي، تح/ الدكتور فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط أولى (١٩٩٦م).
- نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي(٥٨١هـ)، تح/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض. دار الكتب العلمية بيروت، ط أولى (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير(٥٤٤- ٦٠٦هـ)، تح/محمود محمد الطناحي ، وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

□